مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (39) العدد (6)2017
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (39) No. (6) 2017

مقتضى الحال في الدرس اللغوي القديم
"أهميته ونشأته"

الدكتور سامي عوض*
ياسر وليد منون**

(تاريخ الإيداع 25 / 9 / 2017. قبل للنشر في 26 / 12 / 2017)

□ ملخّص □

يَبْقَى ضَبْطُ الْمَعْنَى وَالْوُصُوْلُ إِلَيْهِ غاية كُلِّ بَاْحِثٍ فِي اللُّغَةِ، وَمَاْ دَاْمَ الْمَعْنَى هُوَ نِتَاْج التَّرْكِيْبِ النَّحْوِيِّ فِيْ مَقَاْمٍ مُعَيَّنٍ، لَاْ بُدَّ لِذَلِكَ الْبَاْحِثِ أَلَّا يُقْصِيَ أَحَدَهُمَاْ عَلَى حِسَاْبِ الْآخَرِ؛ أَيْ: تَدْخُلُ كُلٌّ مِنَ الْعَنَاْصِرِ النَّحْوِيَّةِ وَالْعَنَاْصِرِ الدِّلَاْلِيَّةِ فِي عَلَاْقَةٍ جَدَلِيَّةٍ فِي تَفْسِيْرِ الْمَعْنَى.

وَمِنْ هُنَاْ تَنَاْوَلْتُ فِي هَذَا الْبَحْثِ مَفْهُوْمَ مُقْتَضَى الْحَاْلِ وَالْمُصْطَلَحَاْتِ الْمُتَعَلِّقَة بِهِ، وَبَيَاْنَ فَاْعِلِيَّتِهِ فِي الْحَقْلِ اللُّغَوِيِّ، وَأَثَرَ الْعَاْمِلِ الدِّيْنِيِّ فِيْ لَفْتِ أَنْظَاْرِ الْعُلَمَاْءِ الْقُدَاْمَى إِلَى أَهَمِّيَّةِ كُلٍّ مِنَ الشَّكْلِ النَّحْوِيِّ وَالْمَقَاْمِ الَّذِيْ أَنْتَجَهُ،وَمَدَى اعْتِمَاْدِ عُلَمَاْئِنَا الْقُدَاْمَى عَلَيْهِمَاْ وَهُمْ يُفَسِّرُوْنَ النُّصُوْصَ الْقُرْآنِيَّةَ وَالشَّوَاْهِدَ الشِّعْرِيَّةَ وَيَسْتَخْرِجُوْنَ الْقَوَاْعِدَ مِنْهَاْ.

الكَلِمَاْت الْمِفْتَاْحِيَّة: القَوَاْعِد النَّحْوِيَّة، الْعَنَاْصِر الدِّلَاْلِيَّة، الْمَعْنَى، الحال، المقام.

* أستاذ في قسم اللُّغة العربيَّة بكليَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة بجامعة تشرين، اللَّاذقيَّة، سورية.
** طالب ماجستير في قسم اللُّغة العربيَّة بكليَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة بجامعة تشرين، اللَّاذقيَّة، سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (39) العدد (6)2017
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (39) No. (6) 2017

Context of situation in the old linguistic lesson "significance and origin"

Dr. Sami Awad*
Yasser Waled Mannoun**

(Received 25 / 9 / 2017. Accepted 26 / 12 / 2017)

□ ABSTRACT □

Meaning precision and fulfillment has been the sole aim of any researcher in language, and since meaning is the outcome of grammatical structure in one specific context, that researcher must not prefer one to the other

In other words, all of the grammatical aspects fall in the trap of one controversial relation when it comes to meaning interpretation

Therefore, I have tackled the concept of ' situation context ' in my research and the related terminologies and its impact in the field of language , the impact of the religious factor in attracting the old scientists to the significance of grammatical from and context, the outcome of both and to what extent those scientists have relied upon them when interpreting Qur'anic text, lines of poetry only to figure out of them some new rules.

Key words: Grammatical rules, semantic components, meaning, situation, place.

* **Professor, Faculty of Art and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.**
** **Postgraduate Student, Faculty of Art and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.**

مقدّمة:

لَمَّاْ خَرَجَ الْمُسْلِمُوْنَ الْعَرَبُ مِنْ شِبْهِ الْجَزِيْرَةِ الْعَرَبِيَّةِ فَاْتِحِيْنَ، وَدَخَلَ نَاْسٌ كَثِيْرُوْنَ فِي الْإِسْلَاْمِ، وَاحْتَاْجَ الْمُسْلِمُوْنَ الْجُدُدُ إِلَى تَعَلُّمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَجْلِ تِلَاْوَةِ الْقُرْآنِ وَفَهْمِ أَحْكَاْمِهِ وَالْوُقُوْفِ عَلَى مَعَاْنِيْهِ، هَبَّ عُلَمَاْءُ اللُّغَةِ إِلَى جَمْعِهَاْ وَتَقْنِيْنِهَاْ ضِمْنَ قَوَاْعِدَ مُحَدَّدَةٍ، وَآمَنُوا أَنَّ اسْتِخْرَاْجَمِثْلِهَذِهِ الْقَوَاْعِدِ لَنْ يُجْدِيَ نَفْعاً وَلَنْ يُؤْتِيَ أُكُلَهُ فِيْ تَحْقِيْقِ الْغَاْيَةِ الْمَرْجُوَّةِ مِنْهُ وَهِيَ الْفَهْمُ وَالْإِفْهَاْمِ،إِنْ لَمْ يَرْتَبِطْ بِمَقَاْمِهِ،فَخَرَجُوْا إِلَى الْبَوَاْدِي وَالْمَنَاْطِقِ الْمُحَاْفِظَةِ على أصالةِ اللُّغة،وَأَخَذُوْا يَسْمَعُوْنَ اللُّغَةَ فِيْ مَقَاْمَاْتِ اسْتِعْمَاْلِهَاْ وَمِنْ ثَمَّ يَسْتَنْبِطُوْنَ الْقَوَاْعِدَ النَّحْوِيَّةَ عَلَى أَسَاْسِ تِلْكَ الْمَقَاْمَاْتِ، وَبِذَلِكَ عَمِلُوْا عَلَى رَبْطِ الشَّكْلِ بِالْمَضْمُوْنِ، فَكَاْنَتِ اللُّغَةُ بِحَقٍّ أَدَاْةَ التَّعْبِيْرِ وَالتَّوَاْصُلِ بَيْنَ أَبْنَاْءِ الْبَشَرِ، وَأَصْبَحَتْمَجْمُوْعَةَ تَرَاْكِيْبَ نَحْوِيَّةٍ تُقَاْلُ فِيْ مَقَاْمٍ مُعَيَّنٍ لِأَدَاْءِ غَرَضٍ تَوَاْصُلِيٍّ إِبْلَاْغِيٍّ مُعَيَّنٍ.

وَعَلَى هَذَاْ يَحْكُمُ النَّظْمَ ضَاْبِطَاْنِ: لُغَوِيٌّ: يَتَمَثَّلُ فِي الضَّوَاْبِطِ الْقَوَاْعِدِيَّةِ النَّحْوِيَّةِ، وَغَيْرُ لُغَوِيٍّ يَرْتَبِطُ بِالْمُتَكَلِّمِ وَالْمُخَاْطَبِ وَظُرُوْفِ الْخِطَاْبِ وَمُلَاْبَسَاْتِه، أَوْ بِعِبَاْرَةٍ أُخْرَى، هُمَاْ نَسَقَاْنِ: لُغَوِيٌّ مُجَرَّدٌ، وَنَسَقٌ وَظِيْفِيٌّ مَقَاْمِيٌّ يَتِمُّ اسْتِعْمَاْلُ اللُّغَةِ فِي الطَّبَقَاْتِ الْمَقَاْمِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ.

وَمِمَّاْ سَبَقَ نَفْهَمُ أَنَّ الْبَاْحِثَ الَّذِيْ يَسْعَى إِلَى الْكَشْفِ عَنِ الْمَعْنَى، لَاْ يُمْكِنُ لَهُ أَنْ يَكْتَفِيَ بِالنَّظَرِ إِلَى ظَاْهِرِ التَّرَاْكِيْبِ النَّحْوِيَّةِ دُوْنَ أَنْ يَضعَهَاْ فِي مَقَاْمِهَا الَّذِيْ أَنْتَجَهَاْ، وَهَذَاْ مَاْ تَوَصَّلَتْ إِلَيْهِ أَبْرَزُ النَّظَرِيَّاْتِ الْحَدِيْثَةِ نَحْو سِيَاْق الْحَاْلِ وَالتَّدَاْوُلِيَّة وَغَيْرِهِمَاْ.

أَهميَّةُ البحث وأَهدافه:

تَكْمنُ أَهَمِّيَّةُ الْبحث وَأَهْدَاْفُهُ فِيْ أُمُوْرٍ عَدِيْدَةٍ لَعَلَّ مِنْ أَبْرَزِهَاْ:

1_ أَنَّهُ يُبْرِزُ دَوْرَ الْقُرْآنِ الْكَرِيْمِ فِيْ تَوْجِيْهِ أَنْظَاْرِ الْعُلَمَاْءِ الْقُدَاْمَى إِلَى رَبْطِ ظَاْهِرِ التَّرْكِيْبِ النَّحْوِيِّ بِمَقَاْمِهِ الَّذِيْ أَنْتَجَهُ، وَذَلِكَ لِأَنَّ اللُّجُوْءَ إِلَى الشَّكْلِ الظَّاْهِرِ وَحْدَهُ قَدْ يُنْتِجُ دِلَاْلَاْتٍ بَعِيْدَةً عَن الْمَعْنَى الْمَقْصُوْدِ.

2_ أَنَّهُيُرَكِّزُ عَلَى الْجَاْنِبِ الْمَعْنَوِيِّ فِي الدَّرْسِ النَّحْوِيِّ الْقَدِيْمِ، دَاْفِعاً فِيْ كَثِيْرٍ مِنْ جَوَاْنِبِهِ بِالْحُجَّةِ وَالدَّلِيْلِ أَوْهَاْمَ نَعْتِ النَّحْوِيِّيْنَ الْقُدَاْمَى بِجَهْلِ دَوْرِ النَّحْوِ وَوَظِيْفَتِهِ فِي الْكَلَاْمِ، مِنْ قِبَلِ بَعْضِهِمْ، وَمُثْبِتاً أَنَّهُمْ دَرَسُوا النَّحْوَ فِيْ كُتُبِهِمْ وَتَفَاْسِيْرِهِمْ مِنْذُ النَّشْأَةِ الْأُوْلَى لِعِلْمِ النَّحْوِ عَلَى أَسَاْسِ أَنَّهُ يَبْحَثُ فِيْ تَرَاْكِيْبِ الْجُمَلِ وَعَلَاْقَاْتِهَاْ وَبِنَاْءِ الْكَلِمَاْتِ وَتَصَرُّفَاْتِهَاْ، وَأَنَّهُ لَيْسَ يَضِيْقُ بِحُدُوْدِ الْإِعْرَاْبِ، وَعَلَاْمَاْتِهِ.

3_ أَنَّهُ يَتَنَاْوَلُ قَضِيَّةَ مُقْتَضَى الْحَاْلِ وَأَهَمِّيَّتَهَاْ فِي الدَّرْسِ اللُّغَوِيِّ الْقَدِيْمِ وَكَيْفِيَّةَ ظُهُوْرِهَاْ وَعَمَلَ الْعُلَمَاْءِ الْقُدَاْمَى عَلَى تَرْسِيْخِهَاْ.

4_أَنَّهُ مَوْضُوْعٌ قَدِيْمٌ مُتَطَوِّرٌ، فَهُوَ مَعَ عمْقِ جُذُوْرِهِ فِي التِّرَاْثِ الْعَرَبِيِّ يَتَوَاْفَقُ مَعَ الْإِنْجَاْزَاْتِ الْحَدِيْثَةِ فِيْ عِلْمِ اللُّغَةِ الْحَدِيْثِ الَّتِي تَتَمَثَّلُ بِالمَوْقِفِ التَّخاطبِيّ وَالتَّدَاْوُلِيَّةِ.

منهجيَّةُ البحثِ:

سَأَتَّبِعُ فِيْ بَحْثِيْ هَذَا الْمَنْهَجَ الْوَصْفِيَّ مُلَاْحِظَاْهَذِهِ الظَّاْهِرَةَ الْوَاْرِدَةَ عِنْدَ مُخْتَلَفِ عُلَمَاْئِنَا الْقُدَاْمَى، مُلَاْحِقاً شَوَاْهِدَهَاْ عَلَى مَدَاْرِ تَوَجُّهَاْتِهِم، مُثْبِتاً آرَاْءَهُمْ وَأَقْوَاْلَهُمْ فِيْ ذَلِكَ، عَلَّنَاْ نَصِلُ إِلَاْظْهَاْرِ وجْهَةِ نَظَرٍ مُتَكَاْمِلَةٍ.

مفهوم مقتضى الحال والمصطلحات المتعلقة به:

قَبْلَ الغَوْصِ فِيْ غِمَارِ هَذَا المُصْطَلَحِ لَابُدَّ لَنَاْ أَنْ نَقِفَ عَلَى مَعْنَاْهُ اللُّغَوِيِّ فِي اللُّغَةِ، فَهُوَ تَرْكِيْبٌ إِضَاْفِيٌّ يَتَكَوَّنُ مِنْ كَلِمَتَيْنِ؛ الأُوْلَى: المُقْتَضَى، والثانية: الحال، فَكَلِمَةُ (مقتضى) جَمْعُهَاْ مُقْتَضَيَاْتٌ، وَهِيَ اسْمُ مَفْعُوْلٍ مِن اقْتَضَى، وَمَعْنَاْهُ الاِعْتِبَاْرُ المُنَاْسِبُ، وَيُقَاْلُ: اقْتَضَى الحَاْلُ ذَلِكَ: اسْتَلْزَمَهُ، وَاسْتَدْعَاْهُ وَاسْتَوْجَبَهُ[1].

أَمَّاْ كَلِمَةُ (حَاْل) فَهِيَ مِنَ الْأَصْلِ اللُّغَوِيِّ (حَوَلَ) الذي يُشِيْرُ إِلَى معانٍ عديدةٍ، أَحَدُهَاْ: التَّنَقُّلُ: يَقْتَرِنُ بِحَاْلِ الإِنْسَاْنِ، فَيُفِيْدُ مَاْ كَاْنَ عَلَيْهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، فَقَدْ وَرَدَ فِي الْعَيْنِ: "الْحَاْلُ تُؤَنَّثُ، فَيُقَاْلُ: حَاْلٌ حَسَنَةٌ، وَحَاْلَاْتُ الدَّهْرِ وَأَحْوَاْلُه: صُرُوْفُه، وَالْحَاْلُ: الْوَقْتُ الذِيْ أَنْتَ فِيْهِ[2]"، وَحَاْلُ الإِنْسَاْنِ: "كِيْنَةُ الْإِنْسَاْنِ، وَهُوَ مَاْ كَاْنَ عَلَيْهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ، وَالْجَمْعُ أَحْوَاْلٌ وَأَحْوِلَةٌ [3]"، وَالْحَاْلُ أَيْضَاً هِيَ "مَاْ يَخْتَصُّ بِهِ الْإِنْسَاْنُ وَغَيْرُهُ مِنْ أُمُوْرِه المُتَغَيِّرَةِ فِيْ نَفْسِهِ وَجِسْمِهِ وَقُنْيَتِهِ[4]".

وَيَتَبَيَّنُ لَنَاْ مِنَ الْمَدْلُوْلِ اللُّغَوِيِّ لِكِلَا اللَّفْظَتَيْنِ نُقْطَةَ الاتِّصَاْلِ المَعْنَوِيِّ التي يَلْتَقِيَاْنِ عِنْدَهَاْ، وَهِيَ الإِشَاْرَةُ إِلَى مَاْ يَقْتَضِيْهِ حَاْلُ الإِنْسَاْنِ أَوْ يَسْتَلْزِمُهُ فِيْ وَقْتٍ مُعَيَّنٍ مِنْ كَلَاْمٍ مُعْتَمَدٍ مُنَاْسِبٍ.

فَ(مُقْتَضَى الْحَاْلِ) هُوَ "إِيْرَاْدُ الْكَلَاْمِ عَلَى تِلْكَ الصُّوْرَةِ [5]" التِيْ تُوَاْفِقُ حَاْلَ الإِنْسَاْنِ وَمَقَاْمَه، وَمُقْتَضَى الْحَاْلِ فِيْ التَّحْقِيْقِ هُوَ "الْكَلَاْمُ الْكُلِّيُّ الْمُكَيَّفُ بِكَيْفِيَّةٍ مَخْصُوْصَةٍ [6]"؛ لِيَتَنَاْسَبَ وَحَاْلَ ذَلِكَ الإِنْسَاْنِ الْمُوَجَّهِ إِلَيْهِ الْكَلَاْمُ، فَمُخَاْطَبَةُ الْإِنْسَاْنِ الْحَزِيْنِ تَخْتَلِفُ عَنْ مُخَاْطَبَةِ الْإِنْسَاْنِ السَّعِيْدِ، وَمُخَاْطَبَةُ الْمَلِكِ تَخْتَلِفُ عَنْ مُخَاْطَبَةِ الْإِنْسَاْنِ الْعَاْدِيْ، وَهَكَذَاْ سَاْئِرُ الْحَاْلَاْتِ التِيْ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَاْفِ حَاْلِ الْإِنْسَاْنِ، وَعِنْدَمَاْ يُرَاْعِي الْمُتَكَلِّمُ هَذِهِ الْحَاْلَاْتِ يَكُوْنُ كَلَاْمُهُ مُطَاْبِقاً لِمُقْتَضَى الْحَاْلِ، أَيْ: أَنْ يَكُوْنَ كَلَاْمُكَ عَلَى قَدَرِ الْحَاْلِ التِيْ تَسْتَلْزِمُ ذَلِكَ الْكَلَاْمَ، فَحَاْلُ الْمُنْكِرِ لِلْحُكْمِ تَقْتَضِيْ التوكيدَ وَتَسْتَلْزِمُه،فَقَوْلُكَ لَهُ: إِنَّ زيداً في الدّارِ مؤكَّداً بإنَّ، كَلَاْمٌ مُطَاْبِقٌ لِمُقْتَضَى الْحَاْلِ[7].

وَقَدْ ظَهَرَ مَعْنَى مُقْتَضَى الْحَاْلِ عِنْدَ سِيْبَوَيْهِ فِيْ بَاْبِ "الاسْتِقَاْمَةِ مِنَ الْكَلَاْمِ وَالْإِحَاْلَةِ " حِيْنَ قَسَّمَ سِيْبَوَيْهِ الْكَلَاْمَ خَمْسَةَ أَقْسَاْمٍ، يَقُوْلُ: "فَمِنْهُ مُسْتَقِيْمٌ حَسَنٌ وَمُحَاْلٌ وَمُسْتَقِيْمٌ كَذِبٌ وَمُسْتَقِيْمٌ قَبِيْحٌ وَمَاْ هُوَ مُحَاْلٌ كَذِبٌ : فَأَمَّاْ المُسْتَقِيْمُ الْحَسَنُ، فَقَوْلُكَ: أَتَيْتُكَ أَمْسِ، وَسَاْتِيْكَ غَدَاً؛ وَأَمَّاْ المُحَاْلُ، فَأَنْ تَنْقُضَ أَوَّلَ كَلَاْمِكَ بِاٰخِرِهِ، فَتَقُوْلَ : أَتَيْتُكَ غَدَاً، وَسَاْتِيْكَ أَمْسِ؛ وَأَمَّاْ الْمُسْتَقِيْمُ الكَذِبُ، فَقَوْلُكَ حَمَلْتُ الْجَبَلَ، وَشَرِبْتُ مَاْءَ الْبَحْرِ، وَنَحْوَهُ، وَأَمَّاْ الْمُسْتَقِيْمُ الْقَبِيْحُ، فَأَنْ تَضَعَ اللَّفْظَ فِيْ غَيْرِ مَوْضِعِهِ، نَحْوَ قَوْلِكَ: قَدْ زَيْدَاً رَأَيْتُ، وَكَيْ زَيْدٌ يَأْتِيَكَ، وَأَشْبَاْه هَذَا؛ وَأَمَّاْ الْمُحَاْلُ الْكَذِبُ، فَأَنْ تَقُوْلَ: سَوْفَ أَشْرَبُ مَاْءَ الْبَحْرِ أَمْسِ [8]".

([1]): انظر: د. عُمَر، أَحْمَد مُخْتَاْر، *مُعْجَمُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُعَاْصِرَةِ*، ج1، ط1، عَاْلَمُ الْكِتَاْبِ، 1439هـ،2008م، ص1830.

([2]): الْفَرَاْهِيْدِي، الْخَلِيْلُ بْنُ أَحْمَدَ، *الْعَيْن*، تَح: مِهْدِي الْمَخْزُوْمِي، وَإِبْرَاْهِيْمُ السَّاْمَرَاْئِيُّ، ج 3، ط 2، مؤسّسة دار الهجرة،، 1409هـ، ص299.

([3]): ابْنُ مَنْظُوْر،محمدبنمكرم، *لِسَاْنُ الْعَرَب*، ط1، دار صادر، بيروت، د.ت، مادة (حول)

([4]): الْأَصْفَهَاْنِيُّ، الرَّاْغِبُ، *الْمُفْرَدَاْتُ فِيْ غَرِيْبِ الْقُرْآن*، تَح: مُحَمَّد كَيْلَاْنِيّ، دَاْر الْمَعْرِفَة، بيروت، د.ت، ص 137.

([5]): الْمَرَاْغِي، أَحْمَد مُصْطَفَى، *عُلُوْمُ الْبَلَاْغَةِ*، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص 27.

([6]): التَّفْتَاْزَاْنِي، سَعْد الدِّيْن، *مُخْتَصَرُ تَلْخِيْصِ الْمِفْتَاْحِ لِلْخَطِيْبِ الْقَزْوِيْنِيّ (ضمن شروح التلخيص)*، ج 1، دَاْرُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، بَيْرُوْت_لبنان، د.ت، ص157.

([7]): انظر: المصدر السابق، ج1، ص122_123.

([8]): سِيْبَوَيْهِ، عَمْرو بنُ عُثْمَاْنَ، *الْكِتَاْب*، تح: عبد السلام هارون، ج1، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1408هـ–1988م، ص25–26.

وَبِذَلِكَ يَرْبطُ سِيْبَوَيْهِ بَيْنَ قَوَانِيْنِ النَّحْوِ وَالدِّلَالَةِ، فَلَاْ صحَّة لِلنِّظَاْمِ النَّحْوِيِّ دُوْنَ دِلَاْلَةٍ صَحِيْحَةٍ وَلَاْ دِلَاْلَة صَحِيْحَة دُوْنَ نِظَاْمٍ نَحْوِيٍّ صَحِيْحٍ،فَكَاْنَ سِيْبَوَيْهِ بَاْعِثاً لِلْغَوِيِّيْنَ بَعْدَه عَلَى تَرْتِيْبِ أَفْكَاْرِهِمْ وَنَسْجِهَاْ عَلَى نَحْوٍ مُنَظَّمٍ لِتَخْرُجَ بِثَوْبٍ نَظَرِيَّةٍ مُتَكَاْمِلَةٍ تُبْرِزُ أَهَمِّيَّةَ الْمَعْنَى وَمَقَاْمَ الْإِسْتِعْمَاْلِ فِي الْعَلَاْقَاْتِ النَّحْوِيَّةِ وَتَنْظِيْمِهَا[1].

تِلْكَ النَّظَرِيَّةُ وُلِدَتْ عَلَى يَد عَبْدِ الْقَاْهِرِ الْجُرْجَاْنِيِّ الَّذِيْ أَطْلَقَ عَلَيْهَاْاسْمَ النَّظْمِ، وَهِيَ عَلَى أَصَحِّ التَّفَاْسِيْرِ تَعْنِي تَطْبِيْقَ الْكَلَاْمِ عَلَى مُقْتَضَى الْحَاْلِ[2]، وَتَبَيَّنَ ذَلِكَ فِيْ أَكْثَرَ مِنْ مَوْطِنٍ مِنْ مَوَاْطِنِ شَرْحِهِ لِمَعْنَى النَّظْمِ.

لَمْ يَخْتَلِفِ الْجُرْجَاْنِيُّ عَنْ سِيْبَوَيْهِ فِيْ شَرْحِهِ لِلنَّظْمِ، فَقَدْ كَاْنَ النَّظْمُ عِنْدَهُ مُؤَلَّفاً مِنْ قَوَاْنِيْنِ النَّحْوِ بِحَسْبِ الْمَعَاْنِي وَالدِّلَاْلَاْتِ، يَقُوْلُ: "أَنْ لَيْسَ النَّظْمُ إِلَّاْ أَنْ تَضعَ كَلَاْمَكَ الْوَضْعَ الَّذِيْ يَقْتَضِيْهِ عِلْمُ النَّحْوِ وَتَعْمَلَ عَلَى قَوَاْنِيْنِهِ وَأُصُوْلِهِ وَتَعْرِفَ مَنَاْهِجَهُ الَّتِيْ نُهِجَتْ فَلَاْ تَزِيْغ عَنْهَاْ، وَتَحْفَظَ الرُّسُوْمَ الَّتِيْ رُسِمَتْ لَكَ فَلَاْ تُخِلّ بِشَيْءٍ منها []"، ثمَّ يربط الْجُرْجَاْنِي بَيْنَ قَوَاْنِيْنِ النَّحْوِ وَالدِّلَاْلَةِ فَيَقُوْلُ: "وَإِذْ قَدْ عَرَفْتَ أَنَّ مَدَاْرَ أَمْرِ النَّظْمِ عَلَى مَعَاْنِي النَّحْوِ .... اعْلَمْ أَنْ لَيْسَتِ المَزِيَّةُ بِوَاْجِبَةٍ لَهَاْ فِيْ أَنْفُسِها وَمِنْ حَيْثُ هِيَ عَلَى الْإِطْلَاْقِ وَلَكِنْ تُعْرَضُ بِسَبَبِ الْمَعَاْنِي وَالْأَغْرَاْضِ الَّتِيْ يُوْضَعُ لَهَا الْكَلَاْمُ .... [3]".

فَلَاْ قِيْمَةَ لِلْمَعْنَى النَّحْوِيْ إِذَاْ لَمْ يَقَعْ مَوْقِعاً مُنَاْسِباً يَتَطَلَّبُهُ الْمَعْنَى، "فَالْمَزَاْيَاْ هِيَ مَعَاْنِي النَّحْوِ فِيْ تَفَاْعُلِهَاْ مَتَى اقْتَضَتْهَا الْمَعَاْنِيْ وَالْأَغْرَاْضُ أَوْ إِنْ شِئْتَ قُلْتَ: هِيَ حَاْلٌ يَكْتَسِبُهَا الْمَعْنَى النَّحْوِيّ حِيْنَ يَقْتَضِيْهِ غَرَضٌ وَيَسْتَدْعِيْهِ مَعْنَى[4]".

وَلَاْ بُدَّ أَنْ أُشِيْرَ هُنَاْ إِلَى أَنَّ النِّقَاْشَ قَدْ كَثُرَ حَوْلَ مُصْطَلَحَي الْحَاْلِ وَالْمَقَاْمِ، فَرَأَى بَعْضُهُم أَنَّهُمَاْ مُتَقَاْرِبَا الْمَفْهُوْمِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا اعْتِبَاْرِيٌّ، فَبِاعْتِبَاْرِ مُطَاْبَقَةِ هَذَا الْأَمْرِ الدَّاْعِيْ لِلزَّمَاْنِ يُتَوَهَّمُ أَنَّهُ زَمَاْنٌ، وَهُوَ فِي الْحَقِيْقَةِ لَيْسَ زَمَاْنَاً، فَيُسَمَّى لِهَذَا التَّوَهُّمِ حَاْلَاً؛ لِأَنَّ الْحَاْلَ مِنْ أَسْمَاْءِ الزَّمَاْنِ الْمُسْتَقْبَلِ وَالْمَاْضِي، وَبِاعْتِبَاْرِ مُطَاْبَقَةِ هَذَا الْأَمْرِ الدَّاْعِيْ لِلْمَكَاْنِ يُتَوَهَّمُ أَنَّهُ مَكَاْنٌ، فَيُسَمَّى لِهَذَا التَّوَهُّمِ مَقَاْمَاً[5].

وَهُنَاْكَ تَفْسِيْرٌ آخَرُ لِلْحَاْلِ وَالْمَقَاْمِ يَنْقُلُهُ الدُّكْتُوْرُ أَمِيْن الْخُوْلِيُّ، يَقُوْلُ: "وَقَدْ يُفَسِّرُوْنَ وَجْهَ اخْتِيَاْرِ الْحَاْلِ وَالْمَقَاْمِ بِغَيْرِ هَذَا التَّفْسِيْرِ فَيَجْعَلُوْنَ الْحَاْلَ مَاْ عَلَيْهِ الْإِنْسَاْنُ مِنَ الصِّفَاْتِ، لِأَحَدِ الْأَزْمِنَةِ الثَّلَاْثَةِ وَيُسمَّى الْأَمْرُ الدَّاْعِي إِلَى اعْتِبَاْرِ خُصُوْصِيَّةٍ فِيْ الْكَلَاْمِ بِالْحَاْلِ لِأَنَّهُ مِمَّاْ يَتَغَيَّرُ وَيَتَبَدَّلُ كَالْحَاْلِ الَّذِيْ عَلَيْهِ الْإِنْسَاْنُ مِنْ غَضَبٍ أَوْ رِضَاْءٍ، أَوْ سُمِّيَ ذَلِكَ الْأَمْرُ الدَّاْعِي بِالْحَاْلِ لِأَنَّهُ صِفَةٌ وَحَاْلٌ مِنْ أَحْوَاْلِ الْإِنْسَاْنِ، وَهَذَا الْاِعْتِبَاْرُ الْأَخِيْرُ كَمَاْ تَرَىْ يَرْبُطُ الْكَلَاْمَ الْبَلِيْغَ بِحَاْلِ النَّفْسِ الْإِنْسَاْنِيَّةِ رَبْطَاً قَوِيَّاً حِيْنَ يُبْنَى تَسْمِيَتُهُم الْحَاْلَ عَلَى هَذَا الْاِعْتِبَاْرِ الَّذِيْ عَلَيْهِ الْإِنْسَاْنُ مِنْ غَضَبٍ أَوْ رضاءٍ...وَأَمَّاْ الْمَقَاْمُ عَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ الثَّاْنِيْ غَيْرِ النَّاْظِرِ إِلَى أَنَّه اسْمُ مَكَاْنٍ كَمَاْ سَبَقَ فَهُوَ الرُّتْبَةُ وَإِنَّمَاْ سُمِّيَ الْأَمْرُ الدَّاْعِي إِلَى اعْتِبَاْرِ خُصُوْصِيَّةٍ فِي الْكَلَاْمِ مَقَاْمَاً؛ لِأَنَّ مَرَاْتِبَ الْكَلَاْمِ تَتَفَاْوَتُ بِالْأَحْوَاْلِ كَمَاْ أَنَّ مَرَاْتِبَ الرِّجَاْلِ وَدَرَجَاْتِهِم تَتَفَاْوَتُ بِالْمَقَاْمَاْتِ، وَالْحَاْلُ أَوِ الْمَقَاْمُ كَإِنْكَاْرِ الْمُتَكَلِّمِ أَوْ تَرَدُّدِهِ، وَلَهُ مُقْتَضَىً هُوَ مَاْ يُسَمُّوْنَهُ مُقْتَضَى الْحَاْلِ أَوْ مُقْتَضَى الْمَقَاْمِ هُوَ التَّأْكِيْد لِلْمُنْكِرِ مَثَلَاً[6]".

([1]): انظر: نَهْر، د. هَاْدِي، *عِلْمُ الدِّلَاْلَةِ التَّطْبِيْقِيِّ فِي التُّرَاْثِ الْعَرَبِيِّ* ، تَقْدِيْم: أ. د: عَلِي الْحَمَد، ط 1، دَاْر الْأَمَلِ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيْعِ، الْأُردن، 1427هـ–2007م، ص286.

([2]): انظر: القَزْوِيْنِي، جَلَاْل الدِّيْنِ، *الْإِيْضَاْحُ فِيْ عُلُوْمِ الْبَلَاْغَةِ*، دَاْرُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، بيروت_ لبنان، د. ت، ص 12.

([3]): المصدر السابق، ص 82.

([4]): الخُوْلِيُّ، إِبْرَاْهِيْمُ، *مُقْتَضَى الْحَاْلِ بَيْنَ الْبَلَاْغَةِ الْقَدِيْمَةِ وَالنَّقْدِ الْحَدِيْثِ* ، ط1، دَاْرُ الْبَصَاْئِرِ، 1428هـ_ 2007م، ص19.

([5]): انظَر: التَّفْتَاْزَاْنِي، سَعْد الدِّيْن، *الْمُطَوَّل: شَرْحُ تَلْخِيْصِ مِفْتَاْحِ الْعُلُوْمِ* ، تح: عبد الحميد هنداوي، ط 3، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 1434هـ–2013م، ص153.

([6]): الْخُوْلِيّ، أَمِيْن، *فَنُّ الْقَوْلِ*، مَطْبَعَةُ دَاْرِ الْكُتُبِ الْمِصْرِيَّة، الْقَاْهِرَة، 1996م ، ص79_80.

وَيَذْهَبُ بَعْضُ الْبَاْحِثِيْنَ إِلَى أَنَّ الْحَالَ وَالْمَقَاْمَ شَيْءٌ وَاْحِدٌ، وَالْاِخْتِلَاْف فِي الْاِسْتِعْمَاْلِ، فَالْمَقَاْمُ يُسْتَعْمَلُ مُضَاْفاً إِلَى الْمُقْتَضَى فَيُقَاْلُ مَقَاْمُ التَّوْكِيْدِ وَالْإِطْلَاْقِ وَالْحَذْفِ وَالْإِثْبَاْتِ وَالْحَاْلُ إِلَى الْمُقْتَضِيْ فَيُقَاْلُ حَاْلُ الْإِنْكَاْرِ وَحَاْلُ خُلُوِّ الذِّهْنِ[1].

والتحقيق في هذا الشأنِ أنَّ هناكَ فرقاً بين الحال والمقامِ، وهو أنَّالْمَقَاْمَ أَوْسَعُ دِلَاْلَةً مِنَ الْحَاْلِ إِذْ عُدَّ الْمَقَاْمُ ثَاْبِتَاً، وَالْحَاْل تَتَّسِمُ بِالتَّغَيُّرِ[2].

إِنَّ مَاْ يَطْرَحُهُ عُلَمَاْءُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْقُدَاْمَى فِي هَذَا الْمَجَاْلِ يُشْبِهُ إِلَى حَدٍّ كَبِيْرٍ مَاْ يَطْرَحُهُ عُلَمَاْءُ الْغَرْبِ وَالْعَرَبِ الْمُحْدَثُوْنَ خَاْصَّةً فِيْمَاْ يَتَعَلَّقُ بِالْمَوْقِفِ التَّخَاْطُبِيِّ الَّذِي ذَكَرَهُ فِيْرث فِي دِرَاْسَاْتِهِ اللُّغَوِيَّةِ عندما أشارَ إلى أنَّ استخراجَ المعنى مرتبطٌ بالمواقفِ الحيَّةِالَّتِيْ يُمَاْرِسُهَا الْأَشْخَاْصُ فِي الْمُجْتَمَعِ، فَالْجُمْلَةُ تَكْتَسِبُ دِلَاْلَتَهَاْ فِي النِّهَاْيَةِ مِنْ خِلَاْلِ مُلَاْبَسَاْتِ الْأَحْدَاْثِ وَعَلَى ذَلِكَ يُعْتَمَدُ فِيْ كُلِّ تَحْلِيْلٍ لُغَوِيٍّ[3].

وَتَتَّخِذُ بَعْضُ الدِّرَاْسَاْتِ اللُّغَوِيَّةِ الْحَدِيْثَةِ مُصْطَلَحَ التَّدَاْوُلِيَّةِ الّتِي تُعْنَى بِالْخِطَاْبِ التَّدَاْوُلِيِّ؛ لِتَدُلَّ عَلَى سَلَاْمَةِ الْمَعْنَى وَتَحَقُّقِ الْفَاْئِدَةِ لَدَى السَّاْمِعِ بَدَلَاً مِنْ مُصْطَلَحِ مُقْتَضَى الْحَاْلِ[4].

وَخُلَاْصَةُ الْأَمْرِ أَنَّ هَذِهِ الْمُصْطَلَحَاْتِ كُلَّهَاْ تَعُوْدُ إِلَى مَاْ دَرَسَهُ عُلَمَاْؤُنَا الْقُدَاْمَى تَحْتَ مُصْطَلَحِ الْمَقَاْمِ أَوِ الْحَاْلِ، وَمَا التَّغْيِيْرُ بَيْنَ بَاْحِثٍ وَآخَرَ إِلَّاْ حُبٌّ فِي التَّغْيِيْرِ ذَاْتِهِ أَوْ أَنَّ كُلَّ بَاْحِثٍ ظَنَّ نَفْسَهُ مُجْتَهِدَاً فِيْ هَذَا الْمَجَاْلِ فَأَتَى بِمُصْطَلَحٍ يُخَاْلِفُ الْآخَرَ أَوْ أَنَّ سُلْطَاْنَ الْغَرْبِ اسْتَهْوَى عَقْلَهُ فَاتَّبَعَهُ مُسْتَخْدِمَاً الْمُصْطَلَحَ ذَاْتَهُ.

أهميَّةُ مقتضى الحال:

مَاْدَاْمَ مُقْتَضَى الْحَاْلِ يَرْتَبِطُ بِالْأَحْدَاْثِ وَالظُّرُوْفِ الْمُحِيْطَةِ بِالْمُتَكَلِّمِ وَالْمُتَلَقِّي وَالْمُؤَثِّرَةِ عَلَى مَعْنَى الْكَلَاْمِ؛ فَإِنَّ مَعْرِفَةَ تِلْكَ الظُّرُوْفِ وَالْأَحْدَاْثِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْكَلَاْمِ تُسَاْعِدُ عَلَى الْفَهْمِ الصَّحِيْحِ لِلْمَعْنَى الْمُرَاْدِ وَتَقْطَعُ الشَّكَّ بِالْيَقِيْنِ، فَيَنْجَلِي الْإِشْكَاْلُ وَتَظْهَرُ الْفَوَاْئِدُ وَيُفْهَمُ الْخِطَاْبُ، وَتَصِحُّ مَعْرِفَةُ حَقِيْقَةِ الْمُرَاْدِ، فَمَعْرِفَةُ أَحْوَاْلِ الْمَقَاْمَاْتِ وَمَاْ يَحِفُّ بِهَاْ تُعَدُّ وَسِيْلَةَ الْمُسْتَعْرِبِ لِلْوُصُوْلِ إِلَى الْوَجْهِ الصَّحِيْحِ لِلْإِعْرَاْبِ، وَذَخِيْرَةَ اللُّغَوِيِّ لِلْكَشْفِ عَنِ الْفُرُوْقِ بَيْنَ الْكَلِمَاْتِ، وَعِمَاْدَ الْبَلَاْغِيِّ لِرَبْطِ كَلَاْمِهِ بِأَحْوَاْلِ النَّاْسِ لِيَخْرُجَ فِيْ أَتَمِّ صُوْرَةٍ وَأَحْلَى عِبَاْرَةٍ، وَأَدَاْةَ الْمُشَرِّعِ وَالْمُجْتَهِدِ الَّتِي تَصِلُ بِهِ إِلَى الحكْمِ الصَّحِيْحِ، وَجِسْرَ الْمُفَسِّرِ لِلْوُلُوْجِ إِلَى الْمَعَاْنِي وَفَهْمِ آيِ كِتَاْبِ اللهِ الْعَزِيْزِ.

وَتَنَبَّهَ الدُّكْتُوْر مهْدِي الْمَخْزُوْمِيّ إِلَى أَهَمِّيَّةِ الْمَقَاْمِ فِيْ فَهْمِ الْجُمْلَةِ فِي التّرَاْثِ النَّحْوِيِّ، فَرَأَى أَنَّهَاْ "خَاْضِعَةٌ لِمُنَاْسَبَاْتِ الْقَوْلِ وَلِلْعَلَاْقَةِ بَيْنَ الْمُتَكَلِّمِ وَالْمُخَاْطَبِ، وَلَاْ يَتِمُّ التَّفَهُّمُ فِيْ أَيَّةِ لُغَةٍ إِلَّا إِذَاْرُوْعِيَتْ تِلْكَ الْمُنَاْسَبَاْتُ، وَأُخِذَت الْعَلَاْقَةُ بَيْنَ أَصْحَاْبِهَاْ بِنَظَرِ الْاعْتِبَاْرِ وَلَنْ يَكُوْنَ الْكَلَاْمُ مُفِيْداً وَلَا الْخَبَرُ مُؤَدِّياً غَرَضَهُ مَاْ لَمْ يَكُنْ حَاْلُ الْمُخَاْطَبِ مَلْحُوْظاً لِيَقَعَ الْكَلَاْمُ فِيْ نَفْسِ الْمُخَاْطَبِ مَوْقِعَ الاكْتِفَاْءِ وَالْقَبُوْلِ[5]".

([1]): انظر: التَّفْتَاْزَاْنِيّ، سَعْد الدِّيْن، *الْمُطَوَّلُ: شَرْحُ تَلْخِيْصِ مِفْتَاْحِ الْعُلُوْمِ*، ص153_154.

([2]): انظر: الْخُوْلِيّ، إِبْرَاْهِيْم، *مُقْتَضَى الْحَاْلِ بَيْنَ الْبَلَاْغَةِ الْقَدِيْمَةِ وَالنَّقْدِ الْحَدِيْثِ* ، ص45. وانظر: بَلْبَع، عِيْد، *مُقَدِّمَةٌ فِيْ نَظَرِيَّةِ الْبَلَاْغَةِ النَّبَوِيَّةِ: السِّيَاْقُ وَتَوَجِيْهُ دِلَاْلَةِ النَّصِّ*، ط1، بِلنسْيَة لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيْعِ، 1429هـ_2008م، ص188_189.

([3]): انظر: العوَاْدِي، أَسْعَد خلف، *سِيَاْق الْحَاْلِ فِيْ كِتَاْبِ سِيْبَوَيْهِ: دراسة في النحو والدلالة* ، ط1، دار الحامد، الأردن، 1432هـ–2011م، ص41.

([4]): انظر: فَضْل، صَلَاْح، *بَلَاْغَةُ الْخِطَاْبِ وَعِلْمُ النَّصِّ*، ط1، دَاْر الْكُتُبِ الْمِصْرِيّ، الْقَاْهِرَة، دَاْرُ الْكُتُبِ اللُّبْنَاْنِيّ، بَيْرُوْت، 2004م، ص26.

([5]): المخزومي، مهدي، *في النحو العربي نقد وتوجيه*، ط2، دار الرائد العربي، بيروت، 1986م، ص225.

وَيُمْكِنُ إِجْمَالُ أَهَمِّيَّةِ الْعَوْدَةِ إِلَى الْمَقَامِ وَالظُّرُوْفِ وَالْأَحْدَاثِ الْمُحِيْطَةِ بِهِ فِي الْآتِي:

1_ فَهْم الْمَعْنَى الْمُرَاد:

فَلَا يُمْكِنُ دِرَاسَةُ أَيّ نَصٍّ دِرَاسَةً تَتَعَلَّقُ بِاسْتِنْطَاقِ مَعْنَاهُ أَو اسْتِكْشَافِ دِلَالَتِهِ الْفَنِّيَّةِ دُوْنَ تَعَرُّفِ مَقَامِهِ وَالْوُقُوْفِ عَلَيْهِ، وَيُؤَكِّدُ هَذَا الدُّكْتُوْرُ تَمَّام حَسَّان الَّذِيْ ذَهَبَ إِلَىْ أَنَّ "فِكْرَةَ الْمَقَامِ هَذِهِ هِيَ الْمَرْكَزُ الَّذِيْ يَدُوْرُ حَوْلَ عِلْمِ الدِّلَالَةِ الْوَصْفِيَّةِ فِي الْوَقْتِ الْحَاضِرِ، وَهُوَ الْأَسَاسُ الَّذِيْ يَنْبَنِيْ عَلَيْهِ الشَّقُّ أَوِ الْوَجْهُ الْاِجْتِمَاْعِيُّ مِنْ وُجُوْهِ الْمَعْنَى الثَّلَاثَةِ وَهُوَ الْوَجْهُ الَّذِيْ تَتَمَثَّلُ فِيْهِ الْعَلَاقَاْتُ وَالْأَحْدَاْثُ وَالظُّرُوْفُ الْاِجْتِمَاْعِيَّةُ الَّتِيْ تَسُوْدُ سَاْعَةَ أَدَاْءِ الْمَقَاْلِ. وَمِنَ الْمَعْرُوْفِ أَنَّ إِجْلَاْءَ الْمَعْنَى عَلَى الْمُسْتَوَى الْوَظِيْفِي (الصَّوْتِيِّ والصَّرْفِيِّ وَالنَّحْوِيِّ) وَعَلَى الْمُسْتَوَى الْمُعْجَمِيِّ فَوْقَ ذَلِكَ لَاْ يُعْطِيْنَاْ إِلَّاْ مَعْنَى الْمَقَاْلِ أَوِ الْمَعْنَى الْحَرْفِيَّ... وَهُوَ مَعْنَىً فَارِغٌ تَمَاْماً مِنْ مُحْتَوَاْهُ الْاِجْتِمَاْعِيِّ وَالتَّاْرِيْخِيِّ مُنْعَزِلٌ تَمَاْماً عَنْ كُلِّ مَاْ يُحِيْطُ بِالنَّصِّ مِنَ الْقَرَاْئِنِ الْحَاْلِيَّةِ[1]".

فَهُنَاْكَ بَعْضُ الْكَلِمَاْتِ وَالْعِبَاْرَاْتِ الَّتِي يَخْتَلِفُ مَعْنَاْهَاْ بِاخْتِلَاْفِ الْمَقَاْمِ الَّذِي قِيْلَتْ فِيْهِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُنَاْ (يَاْ سَلَاْم) فَهِيَ فِيْ مَقَاْمِ الدُّعَاْءِ وَالتَّضَرُّعِ مِنْ أَسْمَاْءِ اللهِ، وَهِيَ فِيْ مَوْضِعٍ آخَرَ اسْتِحْسَاْنُ الشَّيْءِ وَالْإِعْجَاْبُ بِهِ، وَفِيْ مَوْضِعٍ ثَاْلِثٍ هِيَ اسْتِهْزَاْءٌ وَسخريَةٌ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ، فَهَذِهِ "الْعِبَاْرَةُ صَاْلِحَةٌ أَنْ تَدْخُلَ فِيْ مَقَاْمَاْتٍ اجْتِمَاْعِيَّةٍ كَثِيْرَةٍ جِدّاً وَمَعَ كُلِّ مَقَاْمٍ مِنْهَاْ تَخْتَلِفُ النَّغْمَةُ الَّتِي تَصحَبُ نطْقَ الْعِبَاْرَةِ فَمِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ تُقَاْلَ هَذِهِ الْعِبَاْرَةُ فِيْ مَقَاْمِ التَّأَثُّرِ وَفِيْ مَقَاْمِ التَّشْكِيْكِ وَفِيْ مَقَاْمِ السّخْطِ وَفِيْ مَقَاْمِ الطَّرَبِ وَفِيْ مَقَاْمِ التَّوْبِيْخِ وَفِيْ مَقَاْمِ الْإِعْجَاْبِ وَفِيْ مَقَاْمِ التَّلَذُّذِ وَفِيْ مَقَاْمَاْتٍ أُخْرَى كَثِيْرَةٍ غَيْر ذَلِكَ[2]".

2_ تَوْجِيْه الْإِعْرَاْبِ:

تُؤَدِّي الظُّرُوْفُ الْمُحِيْطَةُ بِالْكَلَاْمِ وَظِيْفَةً مُهِمَّةً فِيْ تَوْجِيْهِ الْإِعْرَاْبِ، فَفِيْ إِعْرَاْبِ قَوْلِهِ تَعَاْلَى: { **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ**}[3] جَعَلُوْا جُمْلَةَ {يتلونه حق تلاوته} حَاْلاً وَلَيْسَتْ خَبَراً مُسْتَدِلِّيْنَ عَلَى ذَلِكَبِأَحْوَاْلِ الْمُخَاْطَبِيْنَ، يَقُوْلُ الْعكْبَرِيُّ: "لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُوْنُوا وَقْتَ إِتْيَاْنِهِ تَاْلِيْنَ لَهُ [4]"، وَيَقُوْلُ ابْنُ الْأَنْبَاْرِي: "{ويتلونه حق تلاوته} جُمْلَة فِعْلِيَّةٌ فِيْ مَوْضِعِ نَصْب عَلَى الْحَاْلِ مِنَ المُضْمَرِ الْمَنْصُوْبِ فِي {آتيناهم} وَلَاْ يَجُوْزُ أَنْ يَكُوْنَ يَتْلُوْنَهُ الْخَبَر؛ لِأَنَّهُيُوْجِبُ أَنْ يَكُوْنَ كُلُّ مَنْ أُوْتِيَ الْكِتَاْبَ يَتْلُوْه حَقَّ تِلَاْوَتِهِ، وَلَيْسَ الْأَمْر كَذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَكُوْنَ الَّذِيْنَ أُوْتُوا الْكِتَاْبَ الْأَنْبِيَاْءَ عَلَيْهِم السَّلَاْمُ[5]".

3_ تَحْدِيْد الْكَلَاْمِ الْمَحْذُوْفِ:

وَمِنَ الْقَضَاْيَا الَّتِي تُكْشَفُ لَنَاْ بِالرُّجُوْعِ إِلَى الْمَقَاْمِ؛ الْكَلَاْمُ الْمَحْذُوْفُ، فَهُنَاْكَ الْعَدِيْدُ مِنَ الْعِبَاْرَاْتِ الَّتِي لَاْ تُفْهَمُ إِلَّاْ بِالرُّجُوْعِ إِلَى الْمَقَاْمِ وَالظُّرُوْفِ الَّتِي قِيْلَتْ فِيْهَاْ؛ لِبَيَاْنِ الْمَحْذُوْفِ مِنْهَاْ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ (حينئذٍ الآن)، وَقَدْ أَوْضَحَ مَعْنَاْهَا ابْنُ الْأَنْبَاْرِي، فَقَاْلَ: "وَكَذَلِكَ قَاْلُوا:"حينئذٍ الآنَ"، تَقْدِيْرُهُ: وَاسْمَعِ الْآنَ، وَمَعْنَاْهُ أَنَّ ذَاْكِراً ذكرَ فِيْمَاْ مَضَى يَسْتَدْعِي فِي الْحَاْلِ

([1]): **حَسَّان، تَمَّام، *اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ مَعْنَاْهَاْ وَمَبْنَاْهَاْ* ، ط4، عالم الكتب، 2004م، ص337_338.**

([2]): **حسان، تمام، *اللغة العربية معناها ومبناها* ، ص345.**

([3]): **البقرة: 121/2.**

([4]): **العكبري، أبو البقاء، *إملاء ما من به الرحمن* ، ج1، ط1، دارالكتبالعلمية،بيروتلبنان، 1399 هـ - 1979 م، ص61.**

([5]): **ابن الْأَنْبَاْرِيّ، كَمَاْل الدِّيْنِ أَبُو الْبَرَكَاْتِ، *الْبَيَاْنُ فِي غَرِيْبِ إِعْرَاْبِ الْقُرْآنِ* ، تح: د. طَه عَبْد الْحَمِيْد، ج 1، دَاْر الْكَاْتِب الْعَرَبِيّ، القاهرة، 1389هـ-1969م، ص122.**

مِثْلُهُ، فَقَالَ لَهُ الْمُخَاطَبُ: حِيْنَئِذٍ الْآنَ، أَيْ: كَانَ الَّذِي تَذْكُرُهُ حِيْنَئِذٍ الْآنَ، أَوْ دَع الْآنَ ذِكْرَهُ وَنَحْو ذَلِكَ مِنَ التَّقْدِيْرِ، وَكَذَلِكَ قَالُوْا مَاْ أَغْفَلَهُ شَيْئاً، وَتَقْدِيْرُهُ أنظرْ شَيْئاً، كَأَنَّ قَائِلاً قَالْ: لَيْسَ بِغَافِلٍ عَنِّي، فَقَالْ الْمُجِيْبُ: مَاْ أَغْفَلَهُ عَنْكَ شَيْئاً، أَيْ: أنظرْ شَيْئاً، فَحَذَفَ، وَالْحَذْفُ فِي كَلَاْمِهِم لِدِلَاْلَةِ الْحَالِ وَكَثْرَةِ الاسْتِعْمَاْلِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَى[1]"

4_ مَعْرِفَة الْحَقِيْقَةِ مِنَ الْمَجَاْزِ:

أَدْرَكَ الْعَرَبُ قِيْمَةَ الْمَقَاْمِ وَتَأْثِيْرَهُ فِي الْكَشْفِ عَنِ الْمَعَاْنِي الْمُخْتَلِفَةِ وَلَاْ سِيَّمَا الْكَلَاْم الْحَقِيْقِيّ وَالْمَجاْزِيّ، فَكَثِيْراً مَاْ يَخْتَلِطُ الْمَعْنَى الْمَجَاْزِيُّ بِالْحَقِيْقِيّ، فَلَاْ يَتمُّ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ إِلَّا بِالرُّجُوْعِ إِلَى مُلَاْبَسَاْتِ الْحَاْلِ الَّذِيْ قِيْلَتْ فِيْهِ تِلْكَ الْعِبَاْرَةُ، وَهَذاْ مَاْ فَعَلَهُ الْجُرْجَاْنِيُّ عِنْدَمَاْ بَيَّنَ أَثَرَ الْمَقَاْمِ وَالْحَاْلِ فِي التَّمْيِيْزِ بَيْنَ الْحَقِيْقَةِ وَالْمَجَاْزِ، وَمَاْ يَتَّصِلُ بِثَقَاْفَةِ الْمُتَكَلِّمِ وَمُعْتَقَدَاْتِهِ، فَقَدْ عَلَّقَ عَلَى قَوْلِ الصلتان الْعَبْدِيّ:

أشابَ الصغير وأفنى الكبير كرُّ الغداةِ ومرّ العشيّ

وَقَوْلِ ذِي الْإِصبع الْعدواني:

أهلكنا الليل والنّهار معاً والدهر يغدو مُصمّما جذعا

فَقَاْلَ: "كَاْنَ طَرِيْقُ الْحكْمِ عَلَيْهِ بِالْمَجَاْزِ أَنْ تَعْلَمَ اعْتِقَاْدَهُم التَّوْحِيْدَ إِمَّاْ بِمَعْرِفَةِ أَحْوَاْلِهِم السَّاْبِقَةِ أَوْ أَنْ تَجِدَ فِيْ كَلَاْمِهِم مِنْ بَعْدِ إِطْلَاْقِ هَذَا النَّحْوِ مَاْ يَكْشفُ عَنْ قَصْدِ الْمَجَاْزِ فِيْهِ[2]"

5_مَعْرِفَة الصَّحِيْحِ مِنَ السَّقِيْمِ:

مِنْ أَبْرَزِ النَّمَاْذِجِ الَّتِي يَنْجَلِي فِيْهَاْ دَوْرُ الْمَقَاْمِ مَاْ يُرْوَى عَنِ النَّاْبِغَةِ وَحَسَّاْن بْنِ ثَاْبِتٍ حَيْثُ كَاْنَ الْأَوَّلُ يُضْرَبُ لَهُ قُبَّةٌ حَمْرَاْءُ بِسَوْقِ عكَاْظ، فَيَأْتِي الشُّعَرَاْءُ، فَيَعْرِضُوْنَ عَلَيْهِ أَشْعَاْرَهُمْ، فَقِيْلَ قَدْ أَنْشَدَهُ مَرَّةً حَسْاْنُ بْنُ ثَاْبِتٍ قَصِيْدَةً مِنْهَاْ هَذَا الْبَيْتُ:

لَنَا الْجَفَنَاْتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى وَأَسْيَاْفُنَاْ يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا

وَقَفَ النَّاْبِغَةُ الذّبْيَاْنِيُّ عِنْدَ هَذَا البَيْتِ مِنْ قَصِيْدَةٍ فِي الْفَخْرِ، وَحَكَمَ عَلَى الشَّاْعِرِ وَفَضَّلَ غَيْرَهُ عَلَيْهِ، وَهَذَا النَّقْدُ الَّذِيْ وُجِّهَ لَهُ يَدُوْرُ حَوْلَ خُرُوْجِ حَسَّاْن عَلَى التَّقَاْلِيْدِ وَالْأَعْرَاْفِ وَالْقِيَمِ الْاِجْتِمَاْعِيَّةِ وَلَاْ عَلَاْقَةَ لَهُ بِأَدَبِيَّةِ قَصِيْدَتِهِ فَمَاْذَا عِيْبَ عَلَى حَسَّاْن؟

قَاْلَ لَهُ النَّاْبِغَةُ: "أَنْتَ شَاْعِرٌ، وَلَكِنَّكَ أَقْلَلْتَ جِفَاْنَكَ وَأَسْيَاْفَكَ أَوْ أَقْلَلْتَ أَسْيَاْفَكَ وَلمعتَ جِفَاْنَكَ [3]" بِمَعْنَى أَنَّهُ وَظَّفَ كَلِمَةَ (جَفنَاْت) وَهِيَ جَمْعُ قِلَّةٍ كَمَا اسْتَعْمَلَ (الْأَسْيَاْف) وَهُوَ كَذَلِكَ جَمْعُ قِلَّةٍ وَعَاْبُوْا عَلَيْهِ اسْتِخْدَاْمَ كَلِمَةِ (الْغُرِّ) وَفَضَّلُوا مَكَاْنَهَا الْبِيْضَ كَمَاْ أَخَذُوْا عَلَيْهِ قَوْلَهُ: (أَسْيَاْفُنَاْ يَقْطُرْنَ) وَرَأَوْا أَنَّ يَجْرِيْنَ يَكُوْنُ أَفْضَل.

وَلَكِنْ إِذَاْ أَمْعَنَّا النَّظَرَ فِيْ هَذِهِ الْمَآخِذِ نَجِدُهَاْ مُسْتَوْحَاْةً مِنَ الْأَعْرَاْفِ وَالْقِيَمِ الْاِجْتِمَاْعِيَّةِ السَّاْئِدَةِ الَّتِي لَاْ تُعَدُّ إِلَّا سِيَاْقَ الْحَاْلِ أَوْ مَاْ يُسَمَّى بِالْمَقَاْمِ، إِذَاْ "عِيْبَ عَلَى حَسَّاْن أَنْ يَفْتَخِرَ فَلَاْ يُحْسن الْاِفْتِخَاْر، وَأَنْ يُؤَلِّفَ بَيْتَهُ مِنْ كَلِمَاْتٍ غَيْرِهَاْ أَفْخَم مَعْنَىً مِنْهَاْ وَأَوْسع مَفْهُوْمَاً، لَقَدْ تَرَكَ الْجِفَاْنَ وَالْبِيْضَ وَالْإِشْرَاْقَ وَالْجَرَيَاْنَ وَاسْتَعْمَلَ الْجِفَاْنَ وَالغرّ وَاللَّمَعَاْنَ وَالْقطرَ وَهِيَ دُوْنَ سَاْبِقَتِهَاْ فَخْرَاً[4]".

([1]): ابن الأنباري، كمال الدين أبو البركات، ***الإنصاف في مسائل الخلاف***، ج1، المكتبة العصرية، بيروت،1987م، ص73.

([2]): الجُرْجَاْنِيّ، عَبْد الْقَاْهِر، ***أَسْرَاْر الْبَلَاْغَة***، تح: مَحْمُوْد مُحَمّد شَاْكِر، مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني، جدّة، د. ت، ص 389.

([3]): بَكَّاْر، يُوْسُف، ***فِي النَّقْدِ الْأَدَبِيّ (إضاءات وحفريّات)***، ط1، دار المناهل للطباعة، بيروت،، 1995م، ص84.

([4]): طَه، أَحْمَد إِبْرَاْهِيم، ***تَاْرِيْخ النَّقْدِ الْأَدَبِيّ عِنْدَ الْعَرَبِ (من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري)*** ، دار الحكمة، بيروت، د. ت، ص24.

لَكِنَّ قُدَامَةَ بْنَ جَعْفَر يَتَصَدّى لِلْهُجُوْمِ الَّذِيْ تَعَرَّضَ لَهُ حَسَّاْن، بَلْ يَنْتَصِرُ لَهُ، وَيَدْعمُهُ بِنَقْدٍ أَقَلُّ مَاْ يُقَاْلُ عَنْهُ: إِنَّهُ مَوْضُوْعِيٌّ وَمَقْبُوْلٌ وَذَلِكَ بِقَوْلِهِ: "وَأَنَّ حَسَّاْن مُصِيْبٌ،إِذْ كَاْنَتْ مُطَاْبَقَةُ الْمَعْنَى بِالْحَقِّ فِيْ يَدِهِ[1]"، وَبَيَّنَ أَنَّ حَسَّاْن لَمَّا اخْتَاْرَ تَوْظِيْفَ كَلِمَةِ (الغر) لَمْ يَقْصِدْ جَعْلَ الْجِفَاْنِ بِيْضَاً؛ لِأَنَّهُ اسْتَعْمَلَ كَلِمَةَ الغرِّ قَاْصِداً التَّعْبِيْرَ عَنِ "الْمَشْهُوْرِ كَمَاْ يُقَاْلُ: يَوْمٌ أَغَرّ، يَدٌ غَرَّاْءُ، إِذَاْ لَمْ يَرِد الْبَيَاْضَ، إِنَّمَاْ أَرَاْدَ الشُّهْرَةَ وَالنَّبَاْهَةَ،وَأَمَّاْ قَوْلُهُ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى فَإِنَّهُ لَمْ يُخْطِئْ فِيْهِ أَيْضَاً؛ لِأَنّ (يَلْمَع فِي الضُّحَى) لَاْ يَدُلُّ إِلَّاْ عَلَى أَنَّ نُوْرَهُ سَاْطِعٌ شَدِيْدُ الْبَيَاْضِ، أَمَّا اللَّيْلُ فَأَكْثَرُ الْأَشْيَاْءِ تَلْمَعُ وَلَوْ كَاْنَ لَهَاْ قَلِيْلٌ مِنَ النُّوْرِ فَقَط، فَكَأَنَّهُ يَقْصِدُ تَلْمَعُ فِي الضُّحَى فَمَاْ بَاْلُكَ بِاللَّيْلِ، أَمَّاْ قَوْلُ النَّاْبِغَةِ: إِنَّ السُّيُوْفَ يَقْطُرْنَ لَوْ قَاْلَ يَجْرِيْنَ أَفْضَل؛ لِأَنّ الْجَرْيَ أَكْثَرُ مِنَ القطر فَلَمْ يُرِدْ حَسَّاْنُ الْكثرةَ بَلْ ذَهَبَ إِلَى مَاْ يَلْفظُ بِهِ النَّاْسُ وَيَعْتَاْدُوْنَهُ مِنْ وَصْفِ الشُّجَاْعِ الْبَاْسِلِ الْبَطَلِ بِأَنْ يَقُوْلُوْا "سَيْفُهُ يَقْطُرُ دَمَاً"، وَلَاْ يَقُوْلُوْنَ سَيْفُهُ يَجْرِي دَمَاً وَلَعَلَّهُ لَوْ قَاْلَ يَجْرِيْنَ يَكُوْنُ قَدْ خَرَجَ عَنِ الْعُرْفِ الْمَعْرُوْفِ مِنْ وَصْفِ الشُّجَاْعِ النجد إِلَى مَاْ لَمْ تَجْرِ عَاْدَةُ الْعَرَبِ بِهِ[2].

فَهَذِهِ الْأَحْكَاْمُ النَّقْدِيَّةُ الصَّاْدِرَةُ عَنِ النَّاْبِغَةِ وَقُدَاْمَة مَرَدُّهَاْ إِلَى مَعْرِفَةِ الْعَاْدَةِ وَالْعُرْفِ وَهِيَ أُمُوْرٌ تَعُوْدُ إِلَى مُقْتَضَى الْحَاْلِ.

العامل الدينيُّ في ظهور مقتضى الحال:

اسْتَطَاْعَ الْقُرْآنُ الْكَرِيْمُ لَفْتَ انْتِبَاْهِ الْعُلَمَاْءِ الْقُدَاْمَى إِلَى قَضِيَّةِ مُقْتَضَى الْحَاْلِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ اعْتَنَى بِالشَّكْلِ وَالْمَضْمُوْنِ فَلَاْ يَتَخَلَّفُ أَحَدُهُمَاْ عَنِ الْآخَرِ، فَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ قَدْ أَوْلَى اللَّفْظَ عِنَاْيَةً فَاْئِقَةً وَالْمَعْنَى مَكَاْنَةً مُهِمَّةً، فَالْأَلْفَاْظُ تَدُلُّ عَلَى الْمَعَاْنِي بِدِقَّةٍ فَاْئِقَةٍ وَلِنَظْمِ الْقُرْآنِ بَرَاْعَةٌ فِيْ تَنْزِيْلِ اللَّفْظِ عَلَى وفقِ الْمَعْنَى، فَجَاْءَ الْقُرْآنُ الْكَرِيْمُ بِأُسْلُوْبٍ مُحْكَمٍ يَتَّفِقُ وَأَحْوَاْلَ الْمُخَاْطَبِيْنَ وَعُقُوْلَهُمْ وَمُسْتَوَاْهُم الاجْتِمَاْعِيَّ وَالثَّقَاْفِيَّ وَالدِّيْنِيَّ.

وَسَوْفَ أُحَدِّدُ بَعْضَ النِّقَاْطِ الَّتِي تُشِيْرُ إِلَى أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيْمَ بِاعْتِنَاْئِهِ بِاللَّفْظِ وَالْمَضْمُوْنِ اسْتَطَاْعَ لَفْتَ انْتِبَاْهِ الْعُلَمَاْءِ الْقُدَاْمَى إِلَى قَضِيَّةِ مُقْتَضَى الْحَاْلِ:

أَوَّلاً: نُزُوْله مُنَجَّمَاً بِحَسب الْحَوَاْدِثِ وَالْوَقَاْئِعِ، فالْقُرْآنُ الْكَرِيْمُ هُوَ الْكِتَاْبُ السَّمَاْوِيُّ الْوَحِيْدُ الذِيْ نَزَلَ مُنَجَّماً [3]، وَهَذَاْ يُؤَكِّدُ أَنَّه عمل على تأصيلِ مُرَاْعَاةِ مُقْتَضَى الْحَاْلِ، فَجَاْءَ مُنجَّماً مِمَّاْ أَتَاْحَ لَهُ مُوَاْكَبَةَ الْوَاْقِعِ بِشَتَّى صُوَرِهِ، فَقَدْ أَشَاْرَ إِلَى ذَلِكَ ابْنُ عَاْشُوْرِعِنْدَمَاْ تَكَلَّمَ فِيْ قَوْلِهِ تَعَاْلَى {**وَقَاْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا** }[4] عَنِ الْحِكْمَةِ مِنْ تَنْزِيْلِ الْقُرْآنِ مُنَجَّماً، وَذَكَرَ أَنَّهُ نَزَلَ بِحَسبِ الْحَوَاْدِثِ كَيْ يَظْهَرَ فِيْ كَثِيْرٍ مِنْ آيَاْتِهِ مُطَاْبَقَتُهَاْ لمُقْتَضَى الْحَاْلِ وَمُنَاْسَبَتُهَا لِلْمَقَاْمِ، وَذَلِكَ هُوَ الْإِعْجَاْزُ، فَقَاْلَ: "إِنَّ الْقُرْآنَ لَوْ لَمْ يَنْزِلْ مُنَجَّماً عَلَى حَسبِ الْحَوَاْدِثِ لَمَا ظَهَرَ فِيْ كَثِيْرٍ مِنْ آيَاْتِهِ مُطَاْبَقَتُهَا لمقتضى الْحَاْلِ وَمُنَاْسَبَتُهَا لِلْمَقَاْمِ، وَذَلِكَ مِنْ تَمَاْمِ الْإِعْجَاْزِ[5]".

ثانياً: قَضِيَّة الْمَكِّيِّ وَالْمَدَنِيِّ، فَالْخِطَاْبُ الْمَكِّيّ اكْتَفَى بِالْإِشَاْرَةِ إِلَى وحْدَاْنِيَّةِ الْخَاْلِقِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَى عِبَاْدَتِهِ، مُتَحَدِّثاً عَنِ الْجَنَّةِ وَالنَّاْرِ وَمَاْ أَعَدَّ اللهُ لِلْمُطِيْعِ مِنْ نَعِيْمٍ، وَمَاْ أَعَدَّ لِلْعَاْصِي مِنَ الْعَذَاْبِ الْمُقِيْمِ، فِيْ حِيْن قَاْمَ الْخِطَاْبُ الْمَدَنِيُّ

([1]): **ابن جعفر، قدامة، *نقد الشعر*، تح: كمال مصطفى، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1979م، ص92.**

([2]): **انظر: المصدر السابق، ص94.**

([3]): **انظر: السَيُوْطِيّ، جَلَاْل الدِّيْنِ، *الْإِتْقَاْن فِيْ عُلُوْم الْقُرْآن* ، تح: سعيد المندوب، ج 1، ط1،دارالفكر – لبنان، 1416هـ– 1996م، ص119.**

([4]): **الْفُرْقَاْن: 32/25.**

([5]): **ابنُ عَاْشُوْر، مُحَمَّد الطَّاْهِر، *التحرير والتنوير*، ج9، دار سحنون، تونس، 1997م، ص20.**

بِتَأْسِيْسِ دَوْلَةِ الْإِسْلَاْمِ وَإِرْسَاْءِ التَّشْرِيْعَاْتِ بِحَسبِ الْحَاْجَةِ وَعَلَى وفقِ الظُّرُوْفِ الَّتِي تَجْرِي عَلَى أَرْضِ الْوَاْقِعِ، فَاتَّسَمَ أُسْلُوْبُ الْقُرْآنِ فِيْ كِلَا الْخِطَاْبَيْنِ بِسِمَاْتٍ لَاْ تُوْجَدُ فِي الْآخَرِ، مِنْهَاْ:

1_ أَنَّ السُّوَرَ وَالْآيَاْتِ الْمَكِّيَّةَ تُرَكِّزُ عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَى التَّوْحِيْدِ، وَإِثْبَاْتِ الرِّسَاْلَةِ، وَإِثْبَاْتِ الْبَعْثِ وَالْجَزَاْءِ، وَذِكْرِ الْقِيَاْمَةِ وَهَوْلِهَاْ، وَالنَّاْرِ وَعَذَاْبِهَاْ، وَالْجَنَّةِ وَنَعِيْمِهَاْ.

2_ أَنَّهَاْ تَضَمَّنَتْ ذِكْرَ الْأَنْبِيَاْءِ وَالْأُمَمِ السَّاْبِقَةِ، وَمَاْ حَلَّ بِهِم مِنْ عَذَاْبِ اللّهِ.

3_ أَنَّ لَفْظَةَ (كلّا) وردت فيه، وَذَلِكَ لِأَنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ مَكَّةَ كَاْنُوا جَبَاْبِرَةً، فَجَاْءَتْ عَلَى سَبِيْلِ التَّهْدِيْدِ وَالتَّحَدِّي.

ثالثاً: اهْتَمَّ الْقُرْآنُ الْكَرِيْمُ بِهَذَا السِّيَاْقِ الْاِجْتِمَاْعِيِّ مِنْ خِلَاْلِ تَشْرِيْعَاْتِهِ السَّمْحَةِ،فَنَتَجَ عَنْ ذَلِكَ مَبْدَأُ التَّدْرِيْجِ، فَجَاْءَتِ التَّكَاْلِيْفُ عَلَى قَدْرِ الْأَحْوَاْلِ وَالْوَقَاْئِعِ مِمَّاْ يُؤَدِّي إِلَى زِيَاْدَةِ الْفَهْمِ وَالْاِمْتِثَاْلِ وَعَدَمِ مُفَاْجَأَةِ الْمُكَلَّفِيْنَ بِمَاْ لَاْ يَعْقِلُوْنَ سَبَبَهُ وَجَدْوَاْهُ، فَلَو نَزَلَتِ الْأَحْكَاْمُ دَفْعَةً وَاْحِدَةً لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْوَاْقِعِ مُنَاْسَبَةٌ مُثِيْرَةٌ وَرَوَاْبِطُ مَنْطِقِيَّةٌ وَسَبَبٌ مَفْهُوْمٌ لَمَا امْتَثَلَهَا النَّاْسُ،يَقُوْلُ الْإِمَاْمُ الْقُرْطُبِيُّ: "قَوْلُهُ تَعَاْلَى: { **وَنَزَّلْنَاْهُ تَنْزِيلًا**}[1] مُبَاْلَغَةٌ وَتَأْكِيْدٌ بِالْمَصْدَرِ، أَيْ: أَنْزَلْنَاْهُ نَجْمَاً بَعْدَ نَجْمٍ، وَلَوْ أُخِذُوا بِجَمِيْعِ الْفَرَاْئِضِ فِيْ وَقْتٍ وَاْحِدٍ لَنَفَرُوا [2]"، وَيُؤَكِّدُ الْإِمَاْمُ الشَّاْطِبِيُّهَذَا الْمَعْنَى، فَيَقُوْلُ: "فَلَوْ نَزَلَتْ دَفْعَةً وَاْحِدَةً؛ لَتَكَاْثَرَتِ التَّكَاْلِيْفُ عَلَى الْمُكَلَّفِ، فَلَمْ يَكُنْ لِيَنْقَاْدَ إِلَيْهَا انْقِيَاْدَهُ إِلَى الْحُكْمِ الْوَاْحِدِ أَوِ الْاِثْنَيْنِ[3]".

رابعاً: تَنَاْوَلَ الْقُرْآنُ الْكَرِيْمُ جَمِيْعَ تِلْكَ الْقَضَاْيَا الاجْتِمَاْعِيَّةِ وَالْمَعَاْنِي الدِّيْنِيَّةِ بِأُسْلُوْبٍ مُحْكَمٍ وَمُسْتَوَىً مُتْقِنٍ، فَجَاْءَتِ الظَّوَاْهِرُ اللُّغَوِيَّةُ مُنَاْسِبَةً لِتِلْكَ الْوَقَاْئِعِ الْاِجْتِمَاْعِيَّةِ وَالْمَعَاْنِي الدينية،وَهَذَاْ مَاْ أَشَاْرَ إِلَيْهِ الدُّكْتُوْرُ مُحَمَّد سَعِيْد رَمَضَاْن الْبُوْطِيّ بِقَوْلِهِ: "إِنَّ التَّعْبِيْرَ الْقُرْآنِيَّ يَظَلُّ جَاْرِياً عَلَى نَسَقٍ رَفِيْعٍ وَاْحِدٍ مِنَ السُّمُوِّ وَرِقَّةِ الصِّيَاْغَةِ وَرَوْعَةِ التَّعْبِيْرِ، رُغْمَ تَنَقُّلِهِ بَيْنَ مَوْضُوْعَاْتٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ التَّشْرِيْعِ وَالْقَصَصِ وَالْمَوَاْعِظِ وَالْحِجَاْجِ وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيْدِ[4]".

وَمِنْ أَمْثِلَةِ ذَلِكَ أَنَّ القرآنَ الْكَرِيْمَ يَتَعَمَّدُ مُخَاْطَبَةَ الْمُخْطِئِ وَالْمُصِيْبِ بِأُسْلُوْبٍ وَاْحِدٍ، وَالتَّعْرِيْضَ بِالْمُخْطِئِ تَعْرِيْضَاً لَاْ يُؤَدِّيْ إِلَى الْغَضَبِ وَالْعِنَاْدِ بَلْ إِلَى التَّأَمُّلِ وَالتَّفْكِيْرِ لعلَّه يعود إلى الصواب، وَهَذَاْ مَاْ يُسَمَّى بِالْكَلَاْمِ الْمُنْصِفِ، وَمِنْه قَوْلُهُ تَعَاْلَى: { **وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** }[5]، وَ (أو) فِي الْآيَةِ عِنْدَ مُعْظَمِ النُّحَاْةِ لِلْإِبْهَاْمِ، يقول الطبريُّ في ذلك: "وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ –الرسول- عَلَى هُدَىً، وَأَنَّهُمْ –الكفار- عَلَى ضَلَاْلٍ مُبِيْنٍ، وَلَكِنَّهُ رَفَقَ بِهِمْ فِي الْخِطَاْبِ، فَلَمْ يَقُلْ: إِنَّاْ عَلَى هُدَىً، وَأَنْتُمْ عَلَى ضَلَاْلٍ [6]".

خامساً: كان القرآن الكريمُ يوجِّه الناس إلى اختيار اللفظ للمعنى المناسب، يَقُوْلُ الدُّكْتُوْرُ عَبْدُ الْعَظِيْمِ المطعنيّ :"وَأَعْجَبُ الْعَجَبِ أَنَّ الْقُرْآنَ لَاْ يَكْتَفِيْ بِاْنْتِقَاْءِ الْأَلْفَاْظِ فِيْ نَمَاْذِجِهِ بَلْ هُوَ يُشْرِعُ فِيْ ذَلِكَ صَرَاْحَةً وَيُنَبِّهُ إِلَى خَطَأٍ وَقَعَ لِاسْتِعْمَاْلِ اللَّفْظِ فِيْ غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَيُرْشِدُ إِلَى بَدِيْلِه[7]".

([1]): الإسراء: 10/17.

([2]): الْقُرْطُبِيّ، أَبُو عَبْدِ اللهِ، *الْجَاْمِعُ لِأَحْكَاْمِ الْقُرْآنِ* ، تح: هشامسميرالبخاري، ج 10، عالم الكتب، السعودية، 1423هـ_ 2003م، ص340.

([3]): الشَّاْطِبِيّ، إِبْرَاْهِيْم بْنُ مُوْسَى، *الموافقات*، تح: عبد الله دراز، ج2،دار المعرفة، بيروت، د. ت، ص 94.

([4]): الْبُوْطِيّ، مُحَمَّد سَعِيْد رَمَضَاْن، *مِنْ رَوَاْئِعِ الْقُرْآنِ*، ط4، مكتبة الفارابي، 1395هـ–1987م، ص134–135.

([5]): سبأ: 24/34.

([6]): الطَّبَرِيّ، أَبُو جَعْفَر مُحَمَّد بْن جَرِيْر،*جَاْمِعُ الْبَيَاْنِ عن تَأْوِيْلِ آي الْقُرْآن* ، تح: أحمد محمد شاكر، ج 3، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1420 هـ – 2000 م، ص162.

([7]): المطعنيّ، عَبْد الْعَظِيْم، *خَصَاْئِص التَّعْبِيْرِ الْقُرْآنِيِّ وَسِمَاْتُهُ الْبَلَاْغِيَّةِ* ، ج1، ط1،مَكْتَبَة وَهْبَة، القاهرة، 1413هـ–1992م، ص252.

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: **{ قالتِ الأعراب آمنَّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخُلِ الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً إنَّ الله غفور رحيم}** [1] بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالْإِيْمَانِ فَرْقٌ، وَهُوَ أَنَّ الْإِسْلَامَ ظَاهِرٌ؛ أَيْ: نُطْقٌ بِاللِّسَانِ، وَالْإِيْمَانَ بَاطِنٌ؛ أَيْ: تَصْدِيْقُ الْقَلْبِ لِيُوَاطِئَ الْقَوْلُ الْاِعْتِقَادَ، وَحَيْنَ ادَّعَى الْأَعْرَابُ الْإِيْمَانَ وَلَمْ يُجَاوِزُوا الْقَوْلَ بِاللِّسَانِ إِلَى الْعَمَلِ وَالتَّصْدِيْقِ بِالْقَلْبِ وَجَّهَهُم الْقُرْآنُ إِلَى كَلِمَةٍ تَتَطَابَقُ وَحَالَهُمْ وَهِيَ الْإِسْلَامُ الذِي اشْتَقَّ الْقُرْآنُ مِنْهُ فِيْ تَوْجِيْهِهِم أَسْلَمْنَا[2].

وفيما يخصُّ النبيّ ﷺفَقَدْ بَلَغَ مِنْ حِرْصِه عَلَى مُرَاْعَاْةِ مُقْتَضَى الْحَالِ أَنَّهُ كَانَ يُكَلِّمُ كُلَّ قَبِيْلَةٍ بِلُغَتِهَاْ حَتَّى قَاْلَ لَهُ الْإِمَاْمُ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ وَقَدْ سَمِعَهُ يُخَاْطِبُ وَفْدَ بَنِيْ نَهْدٍ: يَاْ رَسُوْلَ اللهِ نَحْنُ بَنُوْ أَبٍ وَاْحِدٍ وَنَرَاْكَ تُكَلِّمُ وُفُوْدَ الْعَرَبِ بِمَاْ لَاْ نَفْهَمُ أَكْثَرَهُ فَقَاْلَ لَهُ: أَدَبَنِيْ رَبِّيْ فَأَحْسَنَ تَأْدِيْبِيْ وَرُبِّيْتُ فِيْ بَنِيْ سَعْدٍ"[3].

وَيَتَّضِحُ مِنْ كَلَاْمِ النَّبِيِّ ﷺمَدَى أَهَمِّيَّةِ مُرَاْعَاْةِ مُقْتَضَى حَاْلِ الْمُخَاْطَبِ، فَقَدْ قَرَنَهَاْ بِاْلْأَدَبِ وَالْبَلَاْغَةِ، وَرُوْيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَاْلَ: "أُمِرْتُ أَنْ أُخَاْطِبَ النَّاْسَ عَلَى قَدْرِ عُقُوْلِهِمْ"[4].

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُه لِعَاْئِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَاْ وَهُوَ يُرْسِيْ قَاْعِدَةً حَيَاْتِيَّةً عُظْمَى مِنْ خِلَاْلِ النَّظَرِ إِلَى مُقْتَضَى حَاْلِ الْمُسْلِمِيْنَ الْجُدُدِ: يَاْ عَاْئِشَةُ : لَوْلَاْ أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُو عَهْدٍ بِشِرْكٍ لَهَدَمْتُ الْكَعْبَةَ وَأَلْزَقْتُهَا بِالأَرْضِ وَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ بَابًا شَرْقِيًّا وَبَابًا غَرْبِيًّا، وَزِدْتُ فِيهَا سِتَّةَ أَذْرُعٍ مِنَ الْحِجْرِ فَإِنَّ قُرَيْشًا اقْتَصَرَتْ بِهَا حِينَ بَنَتِ الْكَعْبَةَ [5]".

فَالنَّبِيُّ ﷺعَدَلَ عَنِ الصَّوَاْبِ مُرَاْعَاةً لِحَاْلِ الْمُسْلِمِيْنَ الْجُدُدِ، فقد تَرْجَمَ الْبُخَاْرِيُّلِلْحَدِيْثِ فِيْ كِتَاْبِ الْعِلْمِ: "بَاْبُ مَنْ تَرَكَ بَعْضَ الْاِخْتِيَاْرِ؛ مَخَاْفَةَ أَنْ يَقْصُرَ فَهْمُ بَعْضِ النَّاْسِ عَنْهُ فَيَقَعُوْا فِيْ أَشَدَّ مِنْهُ[6]"، قَاْلَ ابْنُ حَجَرٍ: "فِي الْحَدِيْثِ مَعْنَى مَعْنَى مَاْ تُرْجِمَ لَهُ؛ لِأَنَّ قُرَيْشَاً كَاْنَتْ تُعَظِّمُ أَمْرَ الْكَعْبَةِ جِدًّا فَخَشِيَ ﷺأَنْ يَظُنُّوا لِأَجْلِ قُرْبِ عَهْدِهِمْ بِالْإِسْلَاْمِ، أَنَّهُ غَيَّرَ بِنَاْءَهَاْ لِيَنْفَرِدَ بِالْفَخْرِ عَلَيْهِمْ فِيْ ذَلِكَ، وَيُسْتَفَاْدُ مِنْهُ تَرْكُ الْمَصْلَحَةِ؛ لِأَمْنِ الْوُقُوْعِ فِي الْمَفْسَدَةِ، وَمِنْهُ تَرْكُ إِنْكَاْرِ الْمُنْكَرِ؛ خَشْيَةَ الْوُقُوْعِ فِيْ أَنْكَرَ مِنْهُ، وَأَنَّ الْإِمَاْمَ يَسُوْسُ رَعِيَّتَهُ بِمَاْ فِيْهِ إِصْلَاْحُهُمْ، وَلَوْ كَاْنَ مَفْضُوْلَاً مَاْ لَمْ يَكُنْ مُحَرَّماً[7]".

وَمِمَّاْ سَبَقَ نَرَى أَنَّ الْعَاْمِلَ الدِّيْنِيَّ مُتَمَثِّلاً بِالْقُرْآنِ الْكَرِيْمِ وَالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَاسْتَطَاْعَ لَفْتَاْنْتِبَاْهِ الْعُلَمَاْءِ إِلَى أَهَمِّيَّةِ اقْتِرَاْنِ الشَّكْلِ بِالْمَضْمُوْنِ، فَاسْتَفَاْدُوا مِنْ ذَلِكَفِيْ تَطْبِيْقِ قَوَاْعِدِهِم عَلَى الْعُلُوْمِ الَّتِي بَرَعُوْا بِهَاْ فَقَدَّمُوا أَرْوَعَ الْقَوَاْعِدِ وَالضَّوَاْبِطِ الَّتِي مَاْ تَزَاْلُ رَاْسِخَةً تَحْمِي اللُّغَةَ وَالْمَعْنَى مِنَ الضَّيَاْعِ وَالزَّوَاْلِ وَالانْحِلَاْلِ فِيْ سَرَاْبِ التَّأْوِيْلَاْتِ.

ترسيخ العلماء القدامى مقتضى الحال في استخراجِ المعاني:

([1]): الحجرات: 14/49.

([2]): الزَّمَخْشَرِيّ، محمود بن عُمَر، *الكشاف*، تح: عبد الرزاق المهدي، ج 4، ط2، دار إحياء التراث العربي–مؤسسة التاريخ العربي، بيروت–لبنان، 1421هـ–2001م، ص379.

([3]): ابنالأَثِيْر، ضياء الدين، *النِّهَاْيَةفِيْغَرِيْبِالْحَدِيْثِوَالْأَثَرِ*،تح:طاهرالزاوي،ومحمودالطناحي، ج 1، ط4،المكتبةالعلمية،بيروت، 1979م، ص3.

([4]): المصدر السابق،ج1، ص3.

([5]): مُسْلِم، أبو الحسين النيسابوريّ، *صَحِيْح مُسْلِم*،تَح: مُحَمَّدفُؤَادعَبْدالْبَاْقِي، ج 2، دَاْرإِحْيَاْءالتُّرَاْثالْعَرَبِيّ،بيروت، د. ت، ص 968، رقم الحديث (1333).

([6]): الْبُخَاْرِيّ، مُحَمّد بِن إِسْمَاْعِيْل، *صَحِيْح الْبُخَاْرِيّ* ، تح: محمدزهيربنناصرالناصر، ج 1، ط 1،دارطوقالنجاة، 1422هـ، ص 37، رقم الحديث: (126).

([7]): ابْن حَجَر، أَبُو الْفَضْلِ أَحْمَد بْن عَلِيٍّ، *فَتْح الْبَاْرِي*، تحقيق :ابنباز ،وترقيمعبدالباقي، ج1، دارالمعرفة، بيروت، د.ت، ص 225.

فَطِنَ الْعُلَمَاْءُ الْقُدَاْمَى وَهُم يُفَسِّرُوْنَ النُّصُوْصَ الْقُرْآنِيَّةَ وَالشَّوَاْهِدَ الشِّعْرِيَّةَ وَيَسْتَخْرِجُوْنَ الْقَوَاْعِدَ مِنْهَاْ، إِلَى أَنَّ الشَّكْلَ الظَّاْهِرَ لَاْ يَكْفِي فِي اسْتِخْرَاْجِ الْمَعْنَى وَلِهَذَاْ عَمِلُوْا عَلَى رَبْطِ ذَلِكَ الظَّاْهِرِ بِالْمُلَاْبَسَاْتِ الْخَاْرِجِيَّةِ،مِمَّاْ أَكْسَبَ قَوَاْعِدَهُم الثَّبَاْتَ وَالاسْتِقْرَاْرَ مِنْ جِهَةٍ وَالْمُرُوْنَةَ مِنْ جِهَةٍ ثَاْنِيَةٍ.

وَإِذَاْ وَقَفْنَاْ عِنْدَ أَقْدَمِ كِتَاْبٍ نَحْوِيٍّ وَصَلَنَاْ وَهُوَ كِتَاْبُ سِيْبَوَيْهِ نَجِدْ أَنَّ سِيْبَوَيْهِ منْذُ ذَلِكَ الْوَقْتِ الْمُبَكِّرِ يَفْزَعُ إِلَى السِّيَاْقِ وَالْمُلَاْبَسَاْتِ الْخَاْرِجِيَّةِ وَعَنَاْصِرِ الْمَقَاْمِ لِيَرُدَّ مَاْ يَعْرِضُ فِيْ بِنَاْءِ الْمَاْدَّةِ اللُّغَوِيَّةِ مِنْ ظَوَاْهِرَ مُخَاْلِفَةٍ إِلَى أُصُوْلِ النِّظَاْمِ اللُّغَوِيِّ طَلَباً لِلاطِّرَاْدِ الْمُحْكَمِ [1]، إِذْ يُخَرِّجُ سِيْبَوَيْهِ رَفْعَ كَلِمَةِ "دَاْر" وَوُقُوْعِ جُمْلَةِ "أَقْوَت" اسْتِئْنَاْفِيَّةً، بِنَاْءً عَلَى الْمُعْطَيَاْتِ الْخَاْرِجِيَّةِ لِلْكَلَاْمِ، الَّتِيْ تَتَّصِلُ بِكُلٍّ مِنَ الْمُتَكَلِّمِ وَمَقْصَدِهِ وَالْمُخَاْطَبِ وَإِفَاْدَتِهِ الْمَعْنَى الْمَقْصُوْدَ، وهو ملمح بياني يتصل بمقتضى الحال، وَذَلِكَ عِنْدَمَاْ تَتَاْوَلَ قَوْلَ الشَّاْعِرِ الطرمَّاح:

يا دارُ أَقْوَت بعدَ أَصْرامِها عاماً وما يَعْنيكَ من عامِهاَ

يَقُوْلُ: "فَإِنَّمَاْ تَرَكَ التَّنْوِيْنَ فِيْهِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ أَقْوَتْ مِنْ صِفَةِ الدَّاْرِ، وَلَكِنَّهُ قَاْلَ: يَاْ دَاْرُ، ثُمَّ أَقْبَلَ بَعْدُ يُحَدِّثُ عَنْ شَأْنِهَاْ، فَكَأَنَّهُ لَمَّاْ قَاْلَ: يَاْ دَاْرُ، أَقْبَلَ عَلَى إِنْسَاْنٍ فَقَاْلَ: أَقْوَتْ وَتَغَيَّرَتْ، وَكَأَنَّهُ لَمَّاْ نَاْدَاْهَاْ قَاْلَ: إِنَّهَاْ أَقْوَتْ يَاْ فُلَاْنُ. وَإِنَّمَاْ أَرَدْت بِهَذَاْ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ أَقْوَتْ لَيْسَ بِصِفَةٍ [2]".

يَسْعَى سِيْبَوَيْهِ فِيْ هَذَا الشَّاْهِدِ إِلَى تَنْبِيْهِ الْمُعْرِبِيْنَ إِلَى عَدَمِ اللُّجُوْءِ إِلَى الشَّكْلِ الظَّاْهِرِيِّ فِيْ فَهْمِ الْقَاْعِدَةِ النَّحْوِيَّةِ، فَهُوَ لَاْ يُجِيْزُ بِنَاْءَ الْمُنَاْدَى عَلَى الضَّمِّ إِذَاْ كَاْنَ مَنْعُوْتَاً، وَإِذَاْ نَظَرْنَاْ نَظْرَةً شَكْلِيَّةً إِلَى الْبَيْتِ السَّاْبِقِ فَمِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ نَحْكُمَ عَلَيْهِ أَنَّه خَرَجَ عَنْ تِلْكَ الْقَاْعِدَةِ، فَعَمَدَ الشَّاْعِرُ إِلَى بِنَاْءِ الْمُنَاْدَى "دَاْر" عَلَى الضَّمِّ على الرُّغْمِ مِنْ أَنَّهُ مَوْصُوْفٌ بِجُمْلَةِ "أَقْوَت"، فَسِيْبَوَيْهِ يَنْفِيْ أَنْ تَكُوْنَ جُمْلَةُ "أَقْوَت" صِفَةً لِلدَّاْرِ، وَيَذْهَبُ إِلَى أَنَّهَا اسْتِئْنَاْفِيَّةٌ، اعْتِمَاْدَاً عَلَى الْمُلَاْبَسَاْتِ الْخَاْرِجِيَّةِ لِلْقَوْلِ، فَيَرَى أَنَّ الشَّاْعِرَ نَاْدَى الدَّاْرَ أَوَّلاً ثُمَّ أَخَذَ يُخَاْطِبُ إِنْسَاْنَاً وَيُحَدِّثُهُ عَنْ أَحْوَاْلِهَاْ، وَهَكَذَاْ وَضَعَ فَاْصِلَاً مَعْنَوِيَّاً فَنَحْوِيَّاً بَيْنَ الْمُنَاْدَى "دار" وَجُمْلَةِ "أقوت".

وقد سأَلَ سِيْبَوَيْهِ أُسْتَاْذَهُ الْخَلِيْلَ عَنْ خاصية من خواصِّ مقتضى الحال وهي تركُ الحرية للمتلقي باستكشافِ دلالة النصِّ وذلكَ فِيْ قَوْلِهِ تَعَاْلَى {**حتَّى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها** }[3] () وَقَوْلِهِ {**ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب**}[4] ، **العذاب**}[4] ، وَقَوْلِهِ {**ولو يرى إذ وقفوا على النَّار**}[5] أَيْنَ جَوَاْبُهَاْ؟ فَقَاْلَ: "إِنَّ الْعَرَبَ قَدْ تَتْرُكُ فِيْ مِثْلِ هَذَا الْخَبَرِ الْجَوَاْبَ الْجَوَاْبَ فِيْ كَلَاْمِهِمْ، لِعِلْمِ الْمُخْبِرِ لِأَيِّ شَيْءٍ وُضِعَ هَذَا الْكَلَاْمُ"[6].

وَيُعَلِّقُ أَحْمَدُ سَعِيْد مُحَمَّد عَلَى الْقَوْلِ السَّاْبِقِ، فَيَقُوْلُ: "فَبَدَهَيٌّ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيْمَ قَدْ تَنَزَّلَ عَلَى الْعَرَبِ بِلُغَتِهِم مُسَاْوِقَاً لِأَسَاْلِيْبِهِمْ، وَمِنْ هُنَاْ جَاْءَ تَعْلِيْلُ الْخَلِيْلِ الذِيْ نَقَلَهُ سِيْبَوَيْهِ وَهُوَ عِلْمُ الْمُخَاْطَبِ وَدِلَاْلَةُ السِّيَاْقِ عَلَى ذَلِكَ الْحَذْفِ وَلِأَمْرٍ مَا اكْتَفَى الْخَلِيْلُ وَتِلْمِيْذُهُ بِهَذِهِ الْعِلَّةِ؛ لِأَنَّ فِيْ تَحْدِيْدِهَاْ تَجَاْفِيَاً عَنْ رُوْحِ التَّحْلِيْلِ الْبَلَاْغِيِّ وَقَدْ يَكُوْنُ فِيْهِ بُعْدٌ عَنِ الْمَعْنَى الْمُرَاْدِ مِنْ تِلْكَ الْمَحْذُوْفَاْتِ فِيْ التَّنْزِيْلِ الْعَزِيْزِ، ذَلِكَ لِأَنَّ هَذَا الْحَذْفَ يُضْفِيْ عَلَى الْمَعَاْنِيْ ظِلَاْلَاً خَفِيْفَةً يَذْهَبُ بِهَاْ عَقْلُ الْمُسْتَمِعِ

([1]): انظر: **الْمُوْسَى، د. نِهَاْد، *نَظَرِيَّة النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ فِيْ ضَوْءِ مَنَاْهِجِ النَّظَرِ اللُّغَوِيَّةِ الْحَدِيْثَةِ* ، ط1، الْمُؤَسَّسَة الْعَرَبِيَّة لِلدِّرَاْسَةِ وَالنَّشْرِ، 1980م، ص88..**

([2]): **سِيْبَوَيْهِ، عَمْرو بنُ عُثْمَاْنَ، *الكِتَاْب*، ج2، ص201.**

([3]): **الزمر: 73/39.**

([4]): **البقرة: 165/2.**

([5]): **الأنعام: 27/6.**

([6]): **سِيْبَوَيْهِ، عَمْرو بْن عثْمَاْنَ، *الْكِتَاْب*، ج3، ص103.**

وَوُجْدَانُهُ كُلَّ مَذْهَبٍ وَيَنْفَرِجُ عَنْ مَعَانٍ شَتَّى يَتَحَمَّلُهَا اللَّفْظُ بِالتَّفْسِيْرِ أَو التَّأْوِيْلِ بِحَسبِ مُقْتَضَى الْحَالِ وَطَبِيْعَةِ الْمُتَلَقِّيْنَ كُلٌّ بِحَسبِ مُعْتَقَدِهِ وَغَايَاتِهِ[1]".

وَمَعَ ذَلِكَ لَاْ يَنْسَى سِيْبَوَيْهِ أَهَمِّيَّةَ الْقَوَاْعِدِ النَّحْوِيَّة وَلِهَذَاْ نَرَاْهُ يَرْفضُ الرَّفْعَ فِيْ قَوْلِنَاْ: هَذَا قَائِماً رَجُلٌ؛ لِأَنَّهُ يخْرجُهُ عَنِ الاسْتِقَاْمَةِ النَّحْوِيَّةِ؛ فَلَاْ يَجُوْزُ أَنْ تُوْصَفَ الصِّفَةُ بِالاسْمِ وَيَقْبحُ أنْ تُوْضَعَ الصِّفَةُ فِيْ مَوْضِعِ الاسْمِ، فَلَزِمَ أَنْ نَجْعَلَ الْقَائِمَ حَاْلاً[2].

وَكَثِيْراً مَاْ كَاْنَ يُشِيْرُ إِلَى وَضْعِ التَّرْكِيْبِ الصَّحِيْحِ فِي الْمَعْنَى الْمُنَاْسِبِ لَهُ، مِمَّاْ يُوْحِي بِأَهَمِّيَّةِ الالْتِجَاْءِ إِلَى الشَّكْلِ وَالْمَعْنَى وَهُوَ مَاْ يُسَمَّى بِمُقْتَضَى الْحَاْلِ،وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ فِيْ بَاْب: "مَاْ أُشركَ بَيْنَ الاسْمَيْنِ فِي الْحَرْفِ الْجَاْر فَجَرَيَاْ عَلَيْه"، قَاْلَ: "وَقَدْ تَقُوْلُ: مَرَرْتُ بِزَيدٍ وَعَمْرٍو عَلَى أَنَّكَ مَرَرْتَ بِهِمَاْ مُرُوْرَيْنِ وَلَيْسَ فِيْ ذَلِكَ دَلِيْلٌ عَلَى الْمُرُوْرِ الْمَبْدُوْءِ بِهِ، كَأَنَّهُ يَقُوْلُ: وَمَرَرْتُ أَيْضاً بِعَمْرٍو، فَنفي هَذَاْ: مَاْ مَرَرْتُ بِزَيْدٍ وَمَاْ مَرَرْتُ بِعَمْرٍو" [3]، وَلَوْ أَرَدْتَ مُرُوْراً وَاْحِداً لَقلْتَ: مَاْ مَرَرْتُ بِزَيْدٍ وَعَمْرٍو[4].

وَعَملَ الْفَرَّاْءُ النَّحْوَ وَالْعَرَبِيَّةَ عَلَى كَلَاْمِ الْعَرَبِ، وَرَأَى أَنَّ كُلَّ مَسْأَلَةٍ وَاْفَقَ إِعْرَاْبُهَاْ مَعْنَاْهَاْ وَمَعْنَاْهَاْ إِعْرَاْبهَاْ، فَهُوَ الصَّحِيْحُ...وَلَم يُوْجَدْ فِيْ كَلَاْمِ الْعَرَبِ وَأَشْعَاْرِ الْفُحُوْلِ إِلَّا مَا الْمَعْنَى فِيْهِ مُطَاْبِقٌ لِلْإِعْرَاْبِ، وَالْإِعْرَاْبُ مُطَاْبِقٌ لِلْمَعْنَى[5].

وَقَدْ رَجَّحَ الْفَرَّاْءُ فِي كَلِمَةِ {عَدَلَكَ} مِنْ قَوْلِهِ تَعَاْلَى: { **الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ** }[6] قِرَاْءَةَ التَّشْدِيْدِ {عدَّلك} عَلَى قِرَاْءَةِ التَّخْفِيْفِ {عدَلك}، وَذَلِكَ لِأَنَّهَاْ أَجْوَدُ فِي الْعَرَبِيَّةِ وَأَقْوَى فِي الْمَعْنَى[7].

وَلَعَلَّ شَهَاْدَةَ ابْنِ جِنِّيْ فِيْ تَأْكِيْدِ أَنَّ عُلَمَاْءَنَاْ الْقُدَاْمَى قَدِ احْتَاْجُوْا إِلَى المَوْقِفِ التَّخَاْطبِيّ فِيْ تَنَاْوُلِهِم اللُّغَةَ كِفَاْيَةٌ وَحَسْبُهَاْ مِنْ كِفَاْيَةٍ، وَذَلِكَ عِنْدَمَاْ قَاْلَ مُدَلِّلاً عَلَى أَهَمِّيَّةِ المَوْقِفِ التَّخَاْطبِيّ فِيْ دِرَاْسَةِ اللُّغَةِ: "وَالَّذِيْ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ قَدْ أَحَسُّوا مَاْ أَحْسَسْنَاْ وَأَرَاْدُوْا وَقَصَدُوْا مَاْ نَسَبْنَاْ إِلَيْهِمْ إِرَاْدَتَهُ وَقَصْدَه شَيْئَاْن: أَحَدُهُمَاْ حَاْضِرٌ مَعَنَاْ وَالْاْخِرُ غَاْئِبٌ عَنَّاْ إِلَّاْ أَنَّهُ مَعَ أَدْنَى تَأَمُّلٍ فِيْ حُكْمِ الْحَاْضِرِ مَعَنَاْ، فَالْغَاْئِبُ مَاْ كَاْنَتِ الْجَمَاْعَةُ مِنْ عُلَمَاْئِنَاْ تُشَاْهِدُهُ مِنْ أَحْوَاْلِ الْعَرَبِ وَوُجُوْهِهَا وَتُضطرُّ إِلَى مَعْرِفَتِهِ مِنْ أَغْرَاْضِهَاْ وَقُصُوْدِهَاْ مِن اسْتِخْفَاْفِهَاْ شَيْئَاً أَوِ اسْتِثْقَاْلِه وَتَقَبُّلِهِ أَوْ إِنْكَاْرِهِ وَالْأُنْسِ بِهِ أَوْ الْاسْتِيْحَاْشِ مِنْهُ وَالرِّضَاْ بِهِ أَو التَّعَجُّبِ مِنْ قَاْئِلِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْوَاْلِ الشَّاْهِدَةِ بِالْقُصُوْدِ بَل الْحَاْلِفَةِ عَلَى مَاْ فِي النُّفُوْسِ[8]".

وَابْنُ جِنِّي لَاْ يَتْرُكُ الْأُمُوْرَ رَهْوَاً دُوْنَ أَنْ يَشْفَعَهَاْ بِشَاْهِدٍ يُؤَكِّدُ صِحَّةَ كَلَاْمِهِ، فَنَرَاْهُ كَاْشِفَاً أَهَمِّيَّةَ المَوْقِفِ التَّخَاْطبِيّ فِي الْكَشْفِ عَنِ الدِّلَاْلَاْتِ النَّحْوِيَّةِ مِنْ خِلَاْلِ وُقُوْفِهِ عَلَى قَوْلِ الشَّاْعِرِ:

تقول وصكَّت وجهَها بيمِينها ... أبَعْلِيَ هذا بالرحَى المتقاعِسُ

([1]): مُحَمَّد، أَحْمَد سَعِيْد، ***الْأُصُوْل الْبَلَاْغِيَّة فِيْ كِتَاْبِ سِيْبَوَيْهِ وَأَثَرهَاْ فِي الْبَحْثِ الدَّلَاْلِيّ***، ط1، مَكْتَبَة الْآدَاْب، القاهرة، 1999م، ص95.

([2]): انظر: سِيْبَوَيْهِ، عَمْرو بْن عثْمَاْنَ، ***الْكِتَاْب***، ج2، ص122.

([3]): المصدر السابق، ج1، ص438.

([4]): انظر: المصدر السابق، ج2، ص187.

([5]): انظر: القفْطِيّ، عَلِيّ بْن يُوْسف، ***إِنْبَاْه الرُّوَاْة عَلَى أَنبَاْه النُّحَاْة***، تَح: مُحَمَّد أَبو الْفَضْل إِبْرَاْهِيْم، ج 4، ط1، دَاْر الْفكْر الْعَرَبِيّ (القاهرة)– مُؤَسَّسة الْكُتُب الثَّقَاْفِيَّة (بيروت)، 1408هـ– 1986م، ص8.

([6]): الإنفطار: 7/82

([7]): الفَرَّاْء، يَحْيَى بنُ زِيادٍ، ***مَعَاْنِي الْقُرْآن***، تح: أحمد يوسف نجاتي–محمد علي نجار– عبد الفتاح إسماعيل شبلي، ج 3، ط3، دار الكتب المصرية، مصر، 1422هـ–2001م، ص244.

([8]): ابنُ جِنِّي، أَبُو الفَتْحِ عُثْمَاْن، ***الخَصَاْئِص***، تح: محمد النَّجار، ج1، عالم الكتب، بيروت، د. ت، ص245.

يَقُوْلُ ابْنُ جِنِّي: "فَلَوْ قَالَ حَاْكِيَاً عَنْهَاْ أَبَعْلِي هَذَا بِالرَّحَى الْمُتَقَاْعِسِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَذْكُرَ صكَّ الْوَجْهِ لَأَعْلَمَنَاْ بِذَلِكَ أَنَّهَاْ كَانَتْ مُتَعَجِّبَةً مُنْكِرَةً لَكِنَّهُ لَمَّاْ حَكَى الْحَاْلَ فَقَاْلَ وَصَكَّتْ وَجْهَهَاْ عُلِمَ بِذَلِكَ قُوَّةُ إِنْكَاْرِهَا وَتَعَاْظُمُ الصُّوْرَةِ لَهَاْ هَذَاْ مَعَ أَنَّكَ سَاْمِعٌ لِحِكَاْيَةِ الْحَاْلِ، غَيْرُ مُشَاْهِدٍ لَهَاْ وَلَوْ شَاْهَدْتَهَاْ لَكُنْتَ بِهَاْ أَعْرَفَ وَلِعِظَمِ الْحَاْلِ فِيْ نَفْسِ تِلْكَ الْمَرْأَةِ أَبْيَن، وَقَدْ قِيْلَ: لَيْسَ الْمُخْبَرُ كَالْمُعَاْيِنِ وَلَوْ لَمْ يَنْقُلْ إِلَيْنَاْ هَذَا الشَّاْعِرُ حَاْلَ هَذِهِ الْمَرْأَةِ بِقَوْلِهِ وَصَكَّتْ وَجْهَهَاْ لَمْ نَعْرِفْ بِهِ حَقِيْقَةَ تَعَاْظُمِ الْأَمْرِ لَهَا[1]".

وَقَدْ كَاْنَ ابنُ جِنِّيْ كَثِيْرَ الْحَذَرِ فِيْ تَطْبِيْقِ الْإِعْرَاْبِ لِيَدُلَّ عَلَى الْمَعْنَى الْمُرَاْدِ، فَهُوَ يُحَاْوِلُ أَنْ يَكُوْنَ الْإِعْرَاْبُ عَلَى سَمْتِ الْمَعْنَى، فَلِذَلِكَ يَقْبَلُ الْمَعْنَى عَلَى مَاْ هُوَ عَلَيْهِ وَمِنْ ثَمَّ يَدْعُو إِلَى عَدَمِ الْإِخْلَاْلِ بِقَوَاْعِدِ الْعَرَبِيَّةِ، وَمِنْ ذَلِكَ عِنْدَمَاْ تَنَاْوَلَ ابنُ جِنِّي قَوْلَ الأعشى:

لَسْنَاْ كَمَنْ حَلَّتْ إِيَاْدٍ دَاْرَهَاْ تَكْرِيْت تَرقبُ حَبَّهَاْ أَنْ تُحصدا

يَقُوْلُ: "فَمَعْنَاْهُ: لَسْنَاْ كَمَنْ حَلَّتْ دَاْرَهَاْ ثُمَّ أَبْدَلَ "إِيَاْد" مِنْ "مَنْ حَلَّت دَاْرَهَاْ" فَإِنْ حَمَلْتَهُ عَلَى هَذَاْ كَاْنَ لَحْناً لِفَصْلِكَ بِالْبَدَلِ بَيْنَ بَعْضِ الصِّلَةِ وَبَعْض، فَجَرَى ذَلِكَ فِيْ فَسَاْدِهِ مَجْرَى قَوْلِكَ : مَرَرْتُ بِالضَّاْرِبِ زَيْدٍ جَعْفَراً، وَذَلِكَ أَنَّ الْبَدَلَ إِذَاْ جَرَى عَلَى الْمُبْدَلِ مِنْهُ أَذَنَ بِتَمَاْمِهِ وَانْقِضَاْءِ أَجزَاْئِه، فَكَيْفَ يسوغُ لَكَ أَنْ تُبْدِلَ مِنْهُ، وَقَدْ بَقِيَتْ مِنْهُ بَقِيَّةٌ، هَذَاْ خَطَأٌ فِي الصِّنَاْعَةِ، وَإِذَاْ كَاْنَ كَذَلِكَ، وَالْمَعْنَى عَلَيْهِ أَضْمَرْتَ مَاْ يَدُلُّ عَلَيْهِ حَلَّتْ فَنَصَبْتَ بِهِ الدَّاْرَ، فَصَاْرَ تَقْدِيْرُهُ: لَسْنَاْ كَمَنْ حَلَّتْ إِيَاْدٍ أَيْ كَإِيَاْد الَّتِي حَلَّتْ ثُمَّ قُلْتَ مِنْ بَعْدِهِ: حَلَّتْ دَاْرَهَاْ. فَدَلَّ "حَلَّتْ" فِي الصِّلَةِ عَلَى "حَلَّتْ" هَذِهِ الَّتِيْ نَصَبت دَاْرهَا [2]".

وَقَدْ كَاْنَتْ فِكْرَةُ مُقْتَضَى الْحَاْلِ مُتَقَدِّمَةً عِنْدَ الْجُرْجَاْنِيِّإِذْ أَشَاْرَ إِلَى أَنَّ النَّظْمَ يَخْضَعُ لِضَاْبِطَيْنِ: الْأَوَّل: الْقَوَاْعِد النَّحْوِيَّة، وَالثَّاْنِي:الْمَعَاْنِي وَالْأَغْرَاْض؛ أَي: الْمُلَاْبَسَاْت الْخَاْرِجِيَّة، فَفِي الْوَقْتِ الَّذِي أَكَّد فِيْهِ الصِّحَّةَ النَّحْوِيَّةَ أَخْضَعَ التَّرَاْكِيْبَ لِلظُّرُوْفِ الْخَاْرِجِيَّةِ،فَهُوَ لَمْ يَأْخُذْ بِالشَّكْلِ الظَّاْهِرِ وَحْدَهُ دُوْنَ الْمَعَاْنِي وَالْأَغْرَاْضِ، وَمَعَ ذَلِكَ أَعْطَى الْفُرُوْقَ الشَّكْلِيَّةَ أَهَمِّيَّةً فِي الدِّلَاْلَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ وُقُوْفُهُ عِنْدَ التَّقْدِيْمِ وَالتَّأْخِيْرِ فِيْ قَوْلِه تَعَاْلَى: **{وجعلوا لله شركاء الجن}**[3] فَقَدَّمَ؛ لِأَنَّهُ لِأَنَّهُ أَرَاْدَ "أَنَّهُ مَاْ كَاْنَ يَنْبَغِيْ أَنْ يَكُوْنَ لله شَرِيْكٌ لَاْ مِنَ الْجِنِّ وَلَاْ غَيْرِ الْجِنِّ، وَإِذَا أُخِّرَ فَقِيْلَ : جَعَلُوْا الْجِنَّ شُرَكَاْءَ لله، لَمْ يُفِدْ ذَلِكَ وَلَمْ يَكُنْ فِيْه شَيْءٌ أَكْثَرُ مِنْ الْإِخْبَاْرِ عَنْهُم بِأَنَّهُمْ عَبَدُوا الْجِنَّ مَعَ اللهِ تَعَاْلَى [4]".

وتؤدّي فكرة مقتضى الحال عند السكاكي وَظِيْفَةَ"الْمُرْشِدِ فِيْ ضَبْطِ الْمَعَاْنِي وَتَحْدِيْدِ الْمَقَاْصِدِ، بِغْيَةَ تَحْقِيقِ الْفَاْئِدَةِ لَدى الْمُتَكَلِّمِ وَالسَّاْمِعِ عَلَى حَدٍّ سَوَاْءٍ، فَتُمَكِّنَ الْمُتَكَلِّمَ مِنَ التَّعْبِيْرِ عَمَّا يَلِجُ بِخَاْطِرِهِ مِنْ مَعَاْنٍ، وَمَاْ يَقْصِدُهُ مِنْ أَغْرَاْضٍ بِحَسبِ الظُّرُوْفِ وَالْمَقَاْمَاْتِ، فَيَخْتَاْرُ لِمَقَاْصِدِه تَرَاْكِيْبَ مَخْصُوْصَةً تَنْسَجِمُ وَالْمَقَاْمَاْتِ الَّتِي يُوْجَدُ فِيْهَا مَعَ سَاْمِعِهِ[5]".

ومن الأمثلةِ التي ذكرها، قوله تَعَاْلَى { **أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ**} [6]، فَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْإِنْسَاْنُ مِنَ الْأَعْرَاْبِ الَّذِيْنَ يَعِيْشُوْنَ فِي الْبَوَاْدِيْ وَيُرَبُّوْنَ الْإِبْلَ الْإِبْلَ وَالْأَغْنَاْمَ أَوْ مِمَّنْ يَعْرِفُوْنَ مَاْ يَتَعَلَّقُ بِحَيَاْتِهِمْ لَنْ يَسْتَطِيْعَ إِدْرَاْكَ سِرَّ الْجَمْعِ بَيْنَ الْإِبْلِ وَالسَّمَاْءِ وَالْجِبَاْلِ وَالْأَرْضِ وَيَسْتَغْرِبُ ذَلِكَ؛ لِبُعْدِ الْبَعِيْرِ عَنْ خَيَاْلِهِ فِي مَقَاْمِ النَّظَرِ، ثُمَّ لِبُعْدِهِ فِيْ خَيَاْلِهِ عَنِ السَّمَاْءِ، وَبُعْدِ خَلْقِهِ عَنْ رَفْعِهَاْ، وَكَذَا الْبَوَاْقِيوَلَكِنْ إِذَاْ عَرَفَ حَيَاْةَ الْعَرَبِ بِمُخْتَلَفِ جَوَاْنِبِهَاْ وَنَوَاْحِيْهَا الْاِجْتِمَاْعِيَّةِ سَيَزُوْلُ عَجَبُهُ مِنْ هَذَا الْجَمْعِ؛ ذَلِكَ أَنَّ "أَهْلَ

([1]):ابن جِنِّي، عُثْمَاْن، *الْخَصَاْئِص*، ج1، ص245–246.

([2]): المصدر السابق، ج2، ص402.

([3]): الأنعام: 100/6.

([4]): الْجُرْجَاْنِي، عَبْد الْقَاْهِر، *دلائل الإعجاز*، ص221

([5]): لهويمل، أ. بَادِيْس، *السِّيَاْقُ وَمُقْتَضَى الْحَاْلِ فِيْ مِفْتَاْحِ الْعُلُوْمِ: مُتَاْبِعَة تَدَاْوُلِيَّة* ، مَجَلَّةُ الْمخبر، أَبْحَاْثٌ فِي اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ الْجَزَاْئِرِيِّ، جَاْمِعَةُ بسكرة، الجزائر، العدد(9)، 2013م، ص177.

([6]): الغاشية 17/88_ 18_19_20.

الْوَبَرِ إِذَاْ كَاْنَ مَطْعَمُهُمْ وَمَشْرَبُهُمْ وَمَلْبَسُهُمْ مِنَ الْمَوَاْشِي كَاْنَتْ عِنَاْيَتُهُمْ مَصْرُوْفَةً لَاْ مَحَاْلَةَ إِلَى أَكْثَرِهَاْ نَفْعَاً، وَهِيَ الْإِبْلُ، ثُمَّ إِذَاْ كَاْنَ انْتِفَاْعُهُمْ بِهَاْ لَاْ يَتَحَصَّلُ إِلَّا بِأَنْ تَرْعَى وَتَشْرَبَ كَاْنَ جلّ مَرْمَىٰ نَظَرِهِمْ نُزُوْل الْمَطَرِ، وَأَهَمّ مَسَاْرِحِ النَّظَرِ عِنْدَهُم السَّمَاْء، ثُمَّ إِذَاْ كَاْنُوْا مُضطرِّيْنَ إلى مَأْوَىً يَأْوِيْهِمْ، وَإِلَى حِصْنٍ يَتَحَصَّنُوْنَ فِيْهِ، وَلَاْ مَأْوَى وَلَاْ حِصْنَ إِلَّاْ الْجِبَاْلُ[1]

وَلِذَلِكَ يَسْتَحْسِنُ الْبَدَوِيُّ هَذَا الْجَمْعَ وَيَتَقَبَّلُهُ؛ لِأَنَّ لَهُ مَاْ يُقَاْبِلُهُ فِيْ خِزَاْنَةِ صُوَرِهِ بَيْنَمَاْ تَتَآخَذُ هَذِهِ الْأُمُوْرُ عَلَى الْحَضَرِيِّ وَلَاْ يَسْتَطِيْعُ الْجَمْعَ بَيْنَهَاْ فِيْ خَيَاْلِهِ، مِمَّاْ يُؤَكِّدُ أَنَّ لِسِيَاْقِ الْمَوْقِفِ وَمَاْ يُحَفُّ بِهِ دَوْرَاً فِيْ تَحْدِيْدِ الْمَعْنَى وَالْوُصُوْلِ إِلَى الْقَصْدِ مِنَ الْكَلَاْمِ.

وَكَاْنَت دِرَاْسَةُ ابنِ هِشَاْمٍ مُتَقَدّمَةً فِيْ مَجَاْلِ رَبْطِ النَّحْوِ بِالْمَعْنَى، ففِي الْبَاْبِ الْخَاْمِسِ "فِيْ ذِكرِ الْجِهَاْتِ الَّتِيْ يَدْخُلُ الاعْتِرَاْضُ عَلَى الْمُعْرِبِ مِنْ جِهَتِهَاْ" مِنْ كِتَاْبِهِ مُغْنِي اللَّبِيْبِ يَذْكُرُجِهَةً لَهَاْ عَلَاْقَةٌ بِالْمَعْنَى يُحَذِّرُ مِنْ خِلَاْلِهَا الْمُعْرِبِيْنَ مِنْ عَدَمِ اللُّجُوْءِ إِلَى ظَاْهِرِ الصِّنَاْعَةِ، وثَلَاْثَ جِهَاْتٍ لَهَاْ عَلَاْقَةٌ بِالْإِعْرَاْبِ وَالْقَوَاْعِدِ الْإِعْرَاْبِيَّةِ الَّتِي لَاْ يَقْبَلُ انتِهَاْكَهاْ، وَإِنْ كَاْنَ الْمَعْنَى صَحِيْحاً، فَهُوَ يَدْعُوْ إِلَى انْتِقَاْءِ أَقْوَى الْوُجُوْهِ فِي الْعَرَبِيَّةِ، وَهَذَهِ الْجِهَاْتُ هِيَ:

الجِهَةُ الْأُوْلَى: أَنْ يُرَاْعِي مَايَقْتَضِيْهِ ظَاْهِرُ الصِّنَاْعَةِ وَلَاْ يُرَاْعِي الْمَعْنَى:

أَشَاْرَ ابْنُ هِشَاْمٍ إِلَى أَنَّ أَوَّلَ وَاْجِبٍ عَلَى الْمُعْرِبِ أَنْ يَفْهَمَ مَعْنَى مَاْ يعْرِبُهُ مُفْرَداً وَمُرَكَّباً، فَقَاْلَ : "وَهَاْ أَنَاْ مُوْرِدٌ بِعَوْنِ اللهِ أَمْثِلَةً مَتَى بُنِيَ فِيْهَاْ عَلَى ظَاْهِرِ اللَّفْظِ وَلَمْ يَنْظُرْ فِيْ مُوْجِبِ الْمَعْنَى حَصَلَ الْفَسَاْدُ، وَبَعْضُ هَذِهِ الْأَمْثِلَةِ وَقَعَ لِلْمُعْرِبِيْنَ فِيْهِ وَهُمْ بِهَذَا السَّبَبِ ...فأحدُها قَوْلُه تَعَاْلَى: {أصلاتُك تأمرُكَ أنْ نترُك ما يعبدُ آباؤنا أو أن نفعلَ في أموالنا ما نشاء}[1] فَإِنَّهُ يَتَبَاْدَرُ إِلَى الذِّهْنِ عَطْفُ {أَنْ نَفْعَلَ} عَلَى {أَنْ نَتْرُكَ}، وَذَلِكَ بَاْطِلٌ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَأْمُرْهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا فِي أَمْوَاْلِهِمْ مَاْ يَشَاْؤُوْنَ، وَإِنَّمَاْ هُوَ عَطْفٌ عَلَى مَاْ، فَهُوَ مَعْمُوْلٌ لِلتَّرْكِ، وَالْمَعْنَى أَنْ نَتْرُكَ أَنْ نَفْعَلَ [2]".

الجهة الثانية: مُرَاْعَاْةُ الْمَعْنَى الصَّحِيْحِ، دُوْنَ النَّظَرِ فِي الصِّنَاْعَةِ:

وَمِنَ الْأَمْثِلَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا ابْنُ هِشَاْمٍ، قَوْلُ بَعْضِهِم فِيْ "سقْياً لك": إِنَّ اللَّاْمَ مُتَعَلِّقَةٌ بِـ "سَقْياً"، وَلَوْ كَاْنَ كَذَا لِقِيْلَ سَقْياً إِيَّاْكَ، فَإِنَّ "سَقَى" يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ [3].

الجهة الثالثة: التَّخْرِيْجُ عَلَى مَاْ لَمْ يَثْبُتْ فِي الْعَرَبِيَّةِ:

وَذَلِكَ إِنَّمَاْ يَقَعُ عَلَى جَهْلٍ أَوْ غَفْلَةٍ، وَمِن الْأَمْثِلَةِ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَاْلَى : {**وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** }[4] فَقِيْلَ: إِنَّ الْأَصْلَ: وَمَاْ لَنَاْ وَأَلَّا نُقَاْتِلَ؛ أَيْ : مَاْ لَنَاْ وَتَرْكَ الْقِتَاْلِ، كَمَاْ تَقُوْلُ : مَاْلَكَ وَزَيْداً وَلَمْ يَثْبُتْ فِي الْعَرَبِيَّةِ حَذْفُ وَاْوِ الْمَفْعُوْلِ مَعَهُ [5].

الجهة الرابعة: التَّخْرِيْجُ عَلَى الْأُمُوْرِ الْبَعِيْدَةِ وَالْأَوْجُهِ الضَّعِيْفَةِ، وَتَرْك الْقَرِيْبِ وَالْقَوِيَّ:

وَمِنَ الْأَمْثِلَةِ الَّتِي ذَكَرَهَاْ قَوْلُ بَعْضِهِمْ فِيْ { **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ** }[6]: إِنَّ {أَهْلَ} مَنْصُوْبٌ عَلَى الاخْتِصَاْصِ، وَهَذَاْ ضَعِيْفٌ لِوُقُوْعِهِ بَعْدَ ضَمِيْرِ الْخِطَاْبِ مثل "بكَ الله نرجو الفضلَ"، وَإِنَّمَا الْأَكْثَرُ أَن يَقَعَ بَعْدَ ضَمِيْرِ التَّكَلُّمِ، وَالصَّوَاْبُ أَنَّهُ مُنَاْدَى [7].

([1]):السكّاكيّ، يُوْسُف بْنُ أَبِي بَكْرٍ، *مِفْتَاْح الْعُلُوْم* ، ضبطه وعلّقَ عليه: نعيم زرزور، ط 1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1403هـ_1983م، ص257.

([2]): الأَنْصَاْرِيُّ، جَمَاْلُ الدِّيْنِ بْنُ هِشَاْمٍ، *مُغْنِي اللَّبِيْبِ عَنْ كُتُبِ الْأَعَاْرِيْبِ* ، حققه وعلق عليه: د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله، راجعه: سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت–لبنان، 1432هـ–2010م، ص492.

([3]): المصدر السابق، ص505.

([4]): البقرة: 246/2.

([5]): الْأَنْصَاْرِيّ، جَمَاْلُ الدِّيْنِ بْنِ هِشَاْمٍ، *مُغْنِي اللَّبِيْبِ عَنْ كُتُبِ الْأَعَاْرِيْبِ*، ص508.

([6]): الأحزاب: 33/33.

([7]): الْأَنْصَاْرِيّ، جَمَاْلُ الدِّيْنِ بْنِ هِشَاْمٍ، *مُغْنِي اللَّبِيْبِ عَنْ كُتُبِ الْأَعَاْرِيْبِ*، ص512.

وَهَكَذَا لَمْ يَفْصل الْعُلَمَاْءُ الْقُدَاْمَى بَيْنَ الشَّكْلِ وَالدِّلَاْلَةِ، فَرَأَوْا أَنَّ كُلّاً مِنَ الْعَنَاْصِرِ النَّحْوِيَّةِ وَالْعَنَاْصِرِ الدِّلَاْلِيَّةِ تَدْخُلُ فِيْ عَلَاْقَةٍ جَدَلِيَّةٍ فِيْ تَفْسِيْرِ الْمَعْنَى، فَكَمَا يَمدُّ الْعنْصرُ النَّحْوِيُّ الْعنْصرَ الدِّلَاْلِيَّ بِالْمَعْنَى الْأَسَاْسِيِّ فِي الْجُمْلَةِ، يَمدُّ الْعنْصرُ الدِّلَاْلِيُّ العنْصرَ النَّحْوِيَّ كَذَلِكَ بِبَعْضِ الْجَوَاْنِبِ الَّتِي تُسَاْعِدُ عَلَى تَحْدِيْدِهِ وَتَمْيِيْزِهِ، فَبَيْنَ الْجَاْنِبَيْنِ عَلَاْقَةٌ حَمِيْمَةٌ تَتَجَلَّى فِي التَّأَثُّرِ وَالتَّأْثِيْرِ بَيْنَهُمَاْ، فَلَاْ يُمْكِنُ تَجَاْوُزُ أَحَدِهِمَاْ.

الاستنتاجات والتَّوصِيات:

فِيْ نِهَاْيَةِ هَذِهِ الدِّرَاْسَةِ "مُقْتَضَى الْحَاْلِ فِي الدَّرْسِ اللُّغَوِيِّ الْقَدِيْمِ"أَهَمِّيَّته وَنَشْأَته"، لَاْ بُدَّ أَنْ أَقِفَ عِنْدَ أَهَمِّ النَّتَاْئِجِ الَّتِي تَوَصَّلْتُ إِلَيْهَاْ مِنْ خِلَاْلِ تَتَبُّعِ جهُوْدِ عُلَمَاْئِنَا الْقُدَاْمَى فِي الْبَحْثِ اللُّغَوِيِّ الْقَدِيْمِ، وَمِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ نُلَخِّصَ أَكْثَرَ النَّتَاْئِجِ أَهَمِّيَّةً فِيْمَاْ يَأْتِيْ:

أوّلاً: أَشَاْرَ الْبَحْثُ إِلَى أَنَّ مَعْنَى مُقْتَضَى الْحَاْلِ هُوَ الاخْتِيَاْرُ التَّرْكِيْبِيُّ اللُّغَوِيُّ الْمُنَاْسِبُ لِحَاْلِ الْإِنْسَاْنِ وَمَقَاْمِهِ، وَهُوَ بِالضَّبْطِ مَعْنَى النَّظْمِ الَّذِيْ أَشَاْرَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْقَاْهِرِ الْجرْجَاْنِيّ.

ثانياً: لَمْ أَجِدْ تعريفاً خاصّاً بِكُلٍّ مِنَ الْحَاْلِ وَالْمَقَاْمِ فِي الْحقل اللغوي القديم، مِمَّاْ أَدَّى إِلَى اضطرَاْبٍ شَدِيْدٍ فِيْ تَفْسِيْرِ هَذَيْن الْمُصْطَلَحَيْنِ، فَرَأَى بَعْضُهُم أَنَّهُمَاْ مُتَشَاْبِهَاْنِ، وَالاخْتِلَاْفُ بَيْنَهُمَاْ مِنْ حَيْثُ الحجّةُ المُعْتَمدةُ، فَالْحَاْلُ بِالنظر إلى مُطَاْبَقَةِ الْأَمْرِ الدَّاْعِي لِلزَّمَاْنِ، وَالْمَقَاْمُ بِالنظر إلى مُطَاْبَقَةِ الْأَمْرِ الدَّاْعِي لِلْمَكَاْنِ، وَرَأَى بَعْضُهُم أَنَّ الْحَاْلَ مَاْ عَلَيْهِ الْإِنْسَاْنُ مِنْ صِفَاْتٍ نَحْو الْغَضَب وَالرِّضَا وَنَحْو ذَلِكَ، فَهُوَ مِمَّاْ يَتَغَيَّرُ وَيَتَبَدَّلُ وَأَنَّ الْمَقَاْمَ هُوَ مِنَ الرّتْبَةِ وَسُمِّيَ الْأَمْرُ الدَّاْعِي بالمَقامِ؛ لِأَنّ مَرَاْتِبَ الْكَلَاْمِ تَتَفَاْوَتُ بِالْأَحْوَاْلِ كَمَاْ أَنَّ مَرَاْتِبَ الرِّجَاْلِ وَدَرَجَاْتِهِمْ تَتَفَاْوَتُ بِالْمَقَاْمَاْتِ، وَذَهَبَ بَعْضُهُم إِلَى أَنَّ الْحَاْلَ وَالْمَقَاْمَ شَيْءٌ وَاْحِدٌ، وَالاخْتِلَاْفُ فِي الاسْتِعْمَاْلِ، فَالْمَقَاْمُ يُسْتَعْمَلُ مُضَاْفاً إِلَى الْمُقْتَضَى، فَيُقَاْلُ: مَقَاْمُ التَّوْكِيْدِ وَالْإِطْلَاْقِ وَالْحَذْفِ وَالْإِثْبَاْتِ، وَالْحَاْلُ إِلَى الْمُقْتَضِي، فَيُقَاْلُ: حَاْلُ الْإِنْكَاْرِ، وَحَاْلُ خُلُوِّ الذِّهْنِ، وَالْغَاْلِبُ فِي التَّفْرِقَةِ بَيْنَ الْمَقَاْمِ وَالْحَاْلِ أَنَّ الْمَقَاْمَ عَاْمّ وَالْحَاْلَ خَاْصَّةٌ وَمُتَغَيِّرَةٌ.

ثالثاً: كُلُّ مَاْ تَنَاْوَلَهُ الْغَرْبِيُّوْنَ وَالْعَرَبُ الْمُحْدثُوْنَ وَعَدُّوْهُ انْعِطَاْفاً فِيْ مَسَاْرِ عِلْمِ اللُّغَةِ وَأَخَذُوْا يُنْتِجُوْنَ الْمُصْطَلَحَاْتِ فِيْ ذَلِكَ نَحْو سِيَاْق الْحَاْل وَالتَّدَاْوُلِيَّةِ وَغَيْرِهِمَاْ، قَدْ تَنَاْوَلَهُ عُلَمَاْؤُنَا الْقُدَاْمَى تَنَاْوُلاً نَظَرِيّاً وَعَمَلِيّاً تَحْتَ مُصْطَلَحِ مُقْتَضَى الْحَاْلِ وَالْمُصْطَلَحَاْتِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهِ.

رابعاً: تَجَلَّتْ أَهَمِّيَّةُ مُقْتَضَى الْحَاْلِ فِيْ أَنَّهَاْتُسَاْعِدُ عَلَى الْفَهْمِ الْصَّحِيْحِ لِلْمَعْنَى الْمُرَاْدِ وَتَقْطَعُ الشّكَّ بِالْيَقِيْنِ، فَيَنْجَلِي الْإِشْكَاْلُ وَتَظْهَرُ الْفَوَاْئِدُ وَيُفْهَمُ الْخِطَاْبُ، وَتَصحُّ مَعْرِفَةُ حَقِيْقَةِ الْمُرَاْدِ، فَمَعْرِفَةُ أَحْوَاْلِ الْمَقَاْمَاْتِ وَمَاْ يَحفُّ بِهَاْ تُعَدُّ وَسِيْلَةَ الْمُسْتَعْرِبِ لِلْوُصُوْلِ إِلَى الْوَجْهِ الصَّحِيْحِ لِلْإِعْرَاْبِ، وَذَخِيْرَةَ اللُّغَوِيِّ لِلْكَشْفِ عَنِ الْفُرُوْقِ بَيْنَ الْكَلِمَاْتِ، وَعِمَاْدَ الْبَلَاْغِيِّ لِرَبْطِ كَلَاْمِهِ بِأَحْوَاْلِ النَّاْسِ لِيَخْرُجَ فِيْ أَتَمِّ صُوْرَةٍ وَأَحْلَى عِبَاْرَةٍ، وَأَدَاْةَ الْمُشَرِّعِ وَالْمُجْتَهِدِ الَّتِي تَصِلُ بِهِ إِلَى الحكْمِ الصَّحِيْحِ، وَجِسْرَ الْمُفَسِّرِ لِلْوُلُوْجِ إِلَى الْمَعَاْنِي وَفَهْمِ آيِ كِتَاْبِ اللهِ الْعَزِيْزِ.

خامساً: كَاْنَ لِلْعَاْمِلِ الدِّيْنِيِّ أَثَرٌ كَبِيْرٌ فِيْ تَوْجِيْهِ أَنْظَاْرِ الْعُلَمَاْءِ الْقُدَاْمَى عَلَى مستوى الدِّرَاْسَاْتِ اللُّغَوِيَّةِ المختلفة إِلَى مُرَاْعَاْةِ مُقْتَضَى الْحَاْلِ فِي اسْتِخْرَاْجِ مَعَاْنِيْهِ وَتَشْرِيْعَاْتِهِ أَوّلاً ثُمَّ فِيْ إِثْبَاْتِ إِعْجَاْزِهِ وَتَفَوُّقِهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْكَلَاْمِ ثَاْنِياً، وَذَلِكَ عَنْ طَرِيْقِ نُزُوْلِ الْقُرْآنِ مُنَجَّماً، وَتَنَاْسُبِهِ مَعَ الْخِطَاْبِ الْمَكِّيِّ وَالْمَدَنِيِّ، وَمُرَاْعَاْتِهِ لِلسِّيَاْقِ الْخَاْرِجِيِّ فِيْ تَشْرِيْعَاْتِهِ، وَتَنْبِيْهِ النَّاْسِ إِلَى خَطَأٍ وَقَعَ لِاسْتِعْمَاْلِ اللَّفْظِ فِيْ غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَيُرْشِدُهُم إِلَى بَدِيْلِه، وَمَجِيْءِ الظَّوَاْهِرِ الاجْتِمَاْعِيَّةِ فِيْهِ مُنَاْسِبَةً لِلْوَقَاْئِعِ الاجْتِمَاْعِيَّةِ وَالْمَعَاْنِي الدِّيْنِيَّةِ، وَمِنْ خِلَاْلِ تَجْسِيْدِ النَّبِيِّ ﷺلِهَذِهِ الْمَقُوْلَةِقَوْلاً وفِعْلاً.

سادساً:فَطِنَ الْعُلَمَاْءُ الْقُدَاْمَى وَهُمْ يُفَسِّرُوْنَ النُّصُوْصَ الْقُرْآنِيَّةَ وَالشَّوَاْهِدَ الشِّعْرِيَّةَ وَيَسْتَخْرِجُوْنَ الْقَوَاْعِدَ مِنْهَاْ، إِلَى أَهَمِّيَّةِ كُلٍّ مِنَ الشَّكْلِ الظَّاْهِرِ لِلتَّرْكِيْبِ النَّحْوِيِّ وَالْمَقَاْمِ الَّذِيْ أَنْتَجَهُ، وَعَمِلُوا عَلَى الرَّبْطِ بَيْنَهُمَاْ، فَرَأَوْا أَنْ لَاْ دِلَاْلَةَ دُوْنَ الاسْتِقَاْمَةِ النَّحْوِيَّةِ، وَمِنْ ثَمَّ لَيْسَ هُنَاْكَ قُبُوْلٌ لِتَرْكِيْبٍ نَحْوِيٍّ دُوْنَ دِلَاْلَةٍ، فَلَاْ يَقُوْمُ أَحَدُهُمَاْ بِغَيْرِ الْآخَرِ فِي الْكَلَاْمِ الْمُسْتَقِيْمِ الْجَيِّدِ، وَأَنْ يَجْعَلُوا الْكَلَاْمَ الْبَلِيْغَ هُوَ الْكَلَاْمَ الَّذِيْ يَتَضَمَّنُ صِيَاْغَةً قَوَاْعِدِيَّةً صَحِيْحَةً عَلَى قَدرِ الْأَحْوَاْلِ وَالْمَقَاْمَاْتِ.

أَمَّا التَّوْصِيَاْتُ فَأَهَمُّهَاْ تَنَاْوُلُقَضَاْيَاْ تُرَاْثِيَّةٍ لَهَاْ عَلَاْقَةٌ بِالْمُنْجَزَاْتِ الْحَضَاْرِيَّةِ الَّتِي تَوَصَّلَ إِلَيْهَاْ عِلْمُ اللُّغَةِ الْحَدِيْثِ،وَيُوْصِي الْبَحْثُ بِالرَّبْطِ بَيْنَ النَّحْوِ وَالْبَلَاْغَةِ وَلَاْ سِيَّمَاْ عِلْمِ الْمَعَاْنِي، وَعَدَمِ فَصْلِ الظَّوَاْهِرِ اللُّغَوِيَّةِفِي الدِّرَاْسَةِ، كَمَاْ يُشِيْرُإِلَى أَهَمِّيَّةِ الالْتِزَاْمِ بِإِخْرَاْجِ الْمَعْنَى علَى وفقِ الْقَوَاْعِدِ النَّحْوِيَّةِ الْمُتَعَاْرَفِ عَلَيْهَاْ، وَعَدَمِ إِغْفَاْلِ سِيَاْقِهَا الْخَاْرِجِيِّ الَّذِي أَنْتَجَهَاْ.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

1_ ابن الْأَثِيْر، ضِيَاْء الدِّيْن، *النِّهَاْيَة فِيْ غَرِيْبِ الْحَدِيْثِ وَالْأَثَرِ* ، تح: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، ط 4، المكتبة العلمية، بيروت ، 1979م

2_ الْأَصْفَهَاْنِيُّ، الرَّاْغِبُ، *الْمُفْرَدَاْتُ فِيْ غَرِيْبِ الْقُرْآن*، تَح: مُحَمَّد كَيْلَاْنِيّ، دَاْر الْمَعْرِفَة، بيروت، د.ت

3_ ابن الْأَنْبَاْرِيِّ، كَمَاْل الدِّيْنِ أَبُو الْبَرَكَاْتِ، *الْإِنْصَاْف فِيْ مَسَاْئِلِ الْخِلَاْفِ*، الْمَكْتَبَة الْعَصْرِيَّة، بيروت،1987م

4_ ابن الْأَنْبَاْرِيِّ، كَمَاْل الدِّيْنِ أَبُو الْبَرَكَاْتِ، *الْبَيَاْنُ فِي غَرِيْبِ إِعْرَاْبِ الْقُرْآنِ* ، تح: د. طَه عَبْد الْحَمِيْد، دَاْر الْكَاْتِب الْعَرَبِيّ، القاهرة، 1389هـ–1969م

5_ الأَنْصَاْرِيُّ، جَمَاْلُ الدِّيْنِ بْنُ هِشَاْمٍ، *مُغْنِي اللَّبِيْبِ عَنْ كُتُبِ الْأَعَاْرِيْبِ* ، حققه وعلق عليه: د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله، راجعه: سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت–لبنان، 1432هـ–2010م

6_ الْبُخَاْرِيّ، مُحَمّد بِن إِسْمَاْعِيْل، *صَحِيْح الْبُخَاْرِيّ*، تح: محمدزهيربنناصرالناصر، ط1، دارطوقالنجاة، 1422هـ

7_ بَكَّاْر، يُوْسف، *فِي النَّقْدِ الْأَدَبِيِّ (إِضَاْءَاْت وَحَفْرِيَّاْت)*، ط1، دَاْر الْمَنَاْهِل للطباعة، بيروت، 1995م.

8_ بَلْبَع، عِيْد، *مُقَدِّمَةٌ فِيْ نَظَرِيَّةِ الْبَلَاْغَةِ النَّبَوِيَّةِ: السِّيَاْقُ وَتَوْجِيْهُ دِلَاْلَةِ النَّصِّ* ، ط1، بِلنسْية لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيْعِ، 1429هـ_2008م

9_ الْبُوْطِيّ، مُحَمَّد سَعِيْد رَمَضَاْن، *مِنْ رَوَاْئِعِ الْقُرْآنِ*، ط4، مكتبة الفارابي، 1395هـ–1987م

10_ التَّفْتَاْزَاْنِي، سَعْد الدِّيْن، *مُخْتَصَرُ تَلْخِيْصِ الْمِفْتَاْحِ لِلْخَطِيْبِ الْقَزْوِيْنِيّ (ضمن شروح التلخيص)* ، دَاْرُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، بَيْرُوْت_لبنان، د.ت

11_ التَّفْتَاْزَاْنِي، سَعْد الدِّيْن، *الْمُطَوَّل: شَرْحُ تَلْخِيْصِ مِفْتَاْحِ الْعُلُوْمِ* ، تح: عبد الحميد هنداوي، ط 3، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 1434هـ–2013م

12_ الجُرْجَاْنِيّ، عَبْد الْقَاْهِر، *أَسْرَاْر الْبَلَاْغَةِ*، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني، جدّة، د. ت.

13_ الجُرْجَاْنِيّ، عَبْد الْقَاْهِر، *دَلَاْئِل الْإِعْجَاْزِ*، تح: د. محمدالتنجي، ط1، دارالكتابالعربي،بيروت، 1995م

14_ ابن جَعْفَر، قُدَاْمَة، *نَقْد الشِّعْرِ*، تح: كمال مصطفى، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1979م

15_ ابنُ جِنِّي، أَبُو الفَتْحِ عُثْمَاْن، *الخَصَاْئِص*، تح: محمد النَّجار، ج1، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

16_ ابْن حَجَر، أَبُو الْفَضْلِ أَحْمَد بْن عَلِيٍّ، *فَتْح الْبَارِي*، تحقيق :ابنباز ،وترقيمعبدالباقي، دارالمعرفة، بيروت، د.ت

17_حَسَّان، تَمَّام، *اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ مَعْنَاهَا وَمَبْنَاهَا*، ط4، عالم الكتب، 2004م،

18_ الخُوْلِيُّ، إِبْرَاْهِيْمُ، *مُقْتَضَى الْحَالِ بَيْنَ الْبَلَاْغَةِ الْقَدِيْمَةِ وَالنَّقْدِ الْحَدِيْثِ* ، ط 1، دَاْرُ الْبَصَاْئِرِ، 1428هـ_ 2007م.

19_ الْخُوْلِيّ، أَمِيْن، *فَنُّ الْقَوْلِ*، مَطْبَعَةُ دَارِ الْكُتُبِ الْمِصْرِيَّة، الْقَاْهِرَة، 1996م .

20_ الزَّمَخْشَرِيّ، محمود بن عُمَر، *الكشاف*، تح: عبد الرزاق المهدي، ط 2، دار إحياء التراث العربي–مؤسسة التاريخ العربي، بيروت–لبنان، 1421هـ–2001م.

21_ السكّاكيّ، يُوْسُف بْنُ أَبِي بَكْرٍ، *مِفْتَاْح الْعُلُوْمِ*، ضبطه وعلّقَ عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1403هـ_ 1983م،

22_ سِيْبَوَيْهِ، عَمْرو بنُ عُثْمَاْنَ، *الْكِتَاْب*، تح: عبد السلام هارون، ط 3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1408هـ–1988م.

23_ السُّيُوْطِيّ، جَلَاْل الدِّيْنِ، *الْإِتْقَاْن فِيْ عُلُوْم الْقُرْآنِ* ، تح: سعيد المندوب، ط 1،دارالفكر ،لبنان، 1416هـ–1996م.

24_ الشَّاْطِبِيّ، إِبْرَاْهِيْم بْنُ مُوْسَى، *الموافقات*، تح: عبد الله دراز ،دار المعرفة، بيروت، د. ت.

25_ الطَّبَرِيّ، أَبُو جَعْفَر مُحَمَّد بْن جَرِيْر، *جَاْمِعُ الْبَيَاْنِ عن تَأْوِيْلِ آيِ الْقُرْآن* ، تح: أحمد محمد شاكر، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1420 هـ – 2000 م

26_ طَه، أَحْمَد إِبْرَاْهِيْم، *تَاْرِيْخ النَّقْدِ الْأَدَبِيِّ عِنْدَ الْعَرَبِ (من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري)* ، دار الحكمة، بيروت، د.ت.

27_ ابنُ عَاْشُوْر، مُحَمَّد الطَّاْهِر، *التحرير والتنوير*، دار سحنون، تونس، 1997م.

28_ العكبري، أبو البقاء، *إملاء ما من به الرحمن*، ط1، دارالكتبالعلمية،بيروتلبنان،1399هـ – 1979م.

29_ عُمَر، أَحْمَد مُخْتَاْر، *مُعْجَمُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُعَاْصِرَةِ*، ط1، عَاْلَمُ الْكِتَاْبِ، 1439هـ،2008م.

30_ العوَاْدِي، أَسْعَد خلف، *سِيَاْق الْحَاْل فِيْ كِتَاْبِ سِيْبَوَيْهِ: دراسة في النحو والدلالة*، ط1، دار الحامد، الأردن، 1432هـ–2011م.

31_ الفَرَّاْء، يَحْيَى بنُ زِيادٍ، *مَعَاْنِي الْقُرْآنِ*، تح: أحمد يوسف نجاتي–محمد علي نجار– عبد الفتاح إسماعيل شبلي، ط3، دار الكتب المصرية، مصر، 1422هـ–2001م.

32_ الْفَرَاْهِيْدِي، الْخَلِيْلُ بْنُ أَحْمَدَ، *الْعَيْن* ، تَح: مِهْدِي الْمَخْزُوْمِي، وَإِبْرَاْهِيْمُ السَّاْمَرَاْئِيُّ، ط 2، مؤسّسة دار الهجرة،، 1409هـ.

33_ فَضْل، صَلَاْح، *بَلَاْغَةُ الْخِطَاْبِ وَعِلْمُ النَّصِّ* ، ط 1، دَاْر الْكُتُبِ الْمِصْرِيّ، الْقَاْهِرَة، دَاْرُ الْكُتُبِ اللُّبْنَاْنِيّ، بَيْرُوْت، 2004م.

34_ الْقُرْطُبِيّ، أَبُو عَبْدِ اللهِ، *الْجَاْمِع لِأَحْكَاْمِ الْقُرْآن*، تح: هشامسميرالبخاري، عالم الكتب، السعودية، 1423هـ_ 2003م.

35_ القَزْوِيْنِي، جَلَاْل الدِّيْنِ، *الْإِيْضَاْحُ فِيْ عُلُوْمِ الْبَلَاْغَةِ*، الْقَزْوِيْنِيّ، دَاْرُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، بيروت_ لبنان، د. ت.

36_ القفْطِيّ، عَلِيّ بْن يُوْسف، *إِنْبَاْه الرّوَّاْةِ عَلَى أَنبَاْهِ النُّحَاْةِ* ، تَح: مُحَمَّد أَبو الْفَضْل إِبْرَاْهِيْم، ط 1، دَاْر الْفكْر الْعَرَبِيّ (القاهرة)– مُؤَسّسة الْكُتُب الثَّقَاْفِيَّة (بيروت)، 1408هـ– 1986م.

37_ مُحَمَّد، أَحْمَد سَعِيْد، *الْأُصُوْل الْبَلَاْغِيَّة فِيْ كِتَاْبِ سِيْبَوَيْهِ وَأَثَرِهَاْ فِي الْبَحْثِ الدَّلَاْلِيّ* ، ط1، مَكْتَبَة الْآدَاْب، القاهرة، 1999م،

38_ المخزومي، مهدي، *في النحو العربي نقد وتوجيه*، ط2، دار الرائد العربي، بيروت، 1986م.

39_ الْمُرَاْغِي، أَحْمَد مُصْطَفَى، *عُلُوْمُ الْبَلَاْغَةِ*، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت،

40_ مُسْلِم، أبو الحسين النيسابوريّ، *صَحِيْح مُسْلِم*، تَح: مُحَمَّدفُؤَاْدعَبْدالْبَاْقِي، دَاْرإِحْيَاْءالتُّرَاْثالْعَرَبِيّ،بيروت، د. ت

41_ المطعنيّ، عَبْد الْعَظِيْم، *خَصَاْئِص التَّعْبِيْرِ الْقُرْآنِيّ وَسِمَاْتهُ الْبَلَاْغِيَّةِ*، ط1، مَكْتَبَة وَهْبَة، القاهرة، 1413هـ– 1992م،

42_ ابْنُ مَنْظُوْر، محمدبنمكرم، *لِسَاْنُ الْعَرَب*، ط1، دار صادر، بيروت، د.ت، مادة (حول)

43_ الْمُوْسَى، د. نِهَاْد، *نَظَرِيَّة النَّحْوِ الْعَرَبِيّ فِيْ ضَوْءِ مَنَاْهِجِ النَّظَرِ اللُّغَوِيَّةِ الْحَدِيْثَةِ* ، ط1، المُؤَسَّسَة الْعَرَبِيَّة لِلدِّرَاْسَةِ وَالنَّشْرِ، 1980م.

44_ نَهْر، د. هَاْدِي، *عِلْمُ الدَّلَاْلَةِ التَّطْبِيْقِيّ فِي التُّرَاْثِ الْعَرَبِيّ*، تَقْدِيْم: أ. د: عَلِي الْحَمَد، ط1، دَاْر الْأَمَلِ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيْعِ، الْأُردن، 1427هـ–2007م.

الدَّوريَّات والمجلّات العربية

لهويمل، أ. بَادِيْس، *السِّيَاْقُ وَمُقْتَضَى الْحَاْلِ فِيْ مِفْتَاْحِ الْعُلُوْمِ: مُتَاْبِعَة تَدَاْوُلِيَّة* ، مَجَلَّةُ الْمخبرِ، أَبْحَاْثٌ فِي اللُّغةِ وَالْأَدَبِ الْجَزَاْئِرِيِّ، جَاْمِعَةُ بسكرة، الجزائر، العدد(9)، 2013م.